دار الثقافة

السلوك المسيحي وتحديات العصر

دكتور صموئيل حبيب



السلــــوك المسيحــــى وتحديات العصر

بقلم

دكتور القس صموئيل حبيب



طبعة رابعة منقحة ومزيدة

صدر عن دار الثقافة — ص.ب ١٢٩٨ — القاهرة

١٠ / ١٨٣ ط٤ (أ)/ ٥ — ١٠ / ٦٩ — ٧٧ — ٩٠

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٠/٣٠٧٢

طبع بمطبعة دار الطباعة القومية

جمع في سيوبرس

فى هذا الكتاب

الإهداء

أهدى هذا الكتاب

الى ابنتى روزانا وقد جاء دورها لخدمة السيد له المجد .

تمهيد

إن الحديث عن السلوك المسيحى ، حديث طويل ممتع ، وكلما تطورت الحضارة وارتقى العلم وتقدمت المدنية ، زاد التساؤل عن مستلزمات السلوك المنيحى ودوره فى ضوء المشكلات والأحداث المختلفة .

والواقع أن الحديث عن السلوك المسيحى حديث قديم . فإنه منذ أيام الكنيسة الأولى والصراع قائم على فهم مبادىء وأسس السلوك المسيحى .

إن دور المسيحى هو أن يكون ملحاً ونوراً فى المجتمع الذى يحيا فيه . وقد كان اختيار السيد المسيح لفكرة « الملح » و « النور » اختياراً موفقا .. فالملح هادىء والنور ثائر ، الملح يعمل فى هدوء والنور يهاجم الظلام دفعة واحدة فلا يبقيه . والمسيح يدعو للهدوء متى لزم ، ويدعو للثورة متى لزم . والملح يتفاعل دون أن يراه أحد ، لكن النور يؤثر بصورة ظاهرة . النور لا يختفى أما الملح فيختفى . ولا شك أن دور المؤمن هو أنه مرة يلزم له أن يختفى ، ومرة أخرى لا يجوز له أن يختفى .

والسؤال الحائر هو : متى يلزم له أن يختفى ، ومتى يلزم له أن يظهر ! متى يعلن نفسه ويعلن ايمانه ، ومتى يؤثر على المجتمع بتأثير خفى ! ! متى يصمت ويكتفى بالتأثير غير المباشر والرسالة غير المباشرة ، ومتى يتكلم ويتحرك ولا يصمت ؟ « والملح » مثل

« النور » يعبر دائماً عن الجماعة . فالملح بصيغة الجمع أو الفرد يعبر عن « مجموعة » ، و « النور » لا يعبر عن صيغة الفرد . واختيار المسيح للملح والنور ، هو رؤية لفاعلية جماعية لجماعة المؤمنين ، إذ يعملون « معاً » ، فيؤثرون فى بيئتهم . فالملح والنور دليل على أن « شركة » المؤمنين أساس للتأثير الفعال على المجتمع . .

إن ميزة الملح فى « ملوحته » وميزة النور فى « إنارته » . ولو ضاعت « الملوحة » أو « الإنارة » لضاعت قيمة الملح أو أجهزة الإنارة . ولعله من الواضح أن « الملح » لا يقدر أنه لا يملح ، و « النور » لا يقدر أنه لا ينير . فكلاهما له عمل مرسلى ، وكلاهما له رسالة للآخرين ، ورسالة كل جزء من طبيعته ، بدونها لا وجود له .

إن دور المسيحى هو أن يكون ملحاً ونوراً فى المجتمع الذى يحيا فيه ، ولكنه يواجه صراعات متعددة تكيف نوع سلوكه وتوجهه ، فى وقت تتسيد على الإنسان رغبته العارمة فى إرضاء المجتمع المحيط به . فهل يخضع لرأى المجتمع ـــ خاصة وإن كان رأى المجتمع مخالفاً لضميره ؟

بل إن مبادىء السيد المسيح التى حددها فى الموعظة على الجبل أثارت مناقشات لا حصر لها . هل هى عملية ؟ أم أن يسوع أراد أن يقدم مبادىء مثالية ، يهدف الانسان إليها ، ولكنه لا يصل إليها أبدا . وهناك تساؤلات عديدة : هل أقوال السيد المسيح قوانين حرفية أم مبادىء عامة ؟ وهذا مجال يتسع فيه الشرح .

كما أن موضوع « الحرية المسيحية » من الموضوعات التى قتلت بحثاً ودراسة . فهل الحرية المسيحية حرية مطلقة ، أو مقيدة ؟ وما هى حدودها ؟ وهل تسمح لنا الحرية بانطلاقة إلى مجالات غير مسيحية ؟

إلا أن تقدم العلم ، وتطور الحضارة ، ورقى المجتمع ، تبرز إلى حيز الوجود تحديات كبرى ، لمناقشة المفاهيم المسيحية ، وهناك حقيقة يجب ألا ننساها أو ننكرها ، وهى أن المبادىء المسيحية مبادىء عامة لكل العصور وكل الأجيال وكل الشعوب . . مهما اختلفت حياة الناس وتواريخهم والظروف التى عاشوا فيها .

ليس هذا الكتاب بحثاً فى علم « الأخلاق المسيحية » ، بل هو بالحرى « علم الأخلاق التطبيقى » . إنه دراسة للسلوك المسيحى من وجهة نظر عملية تطبيقية . وإن كان المؤلف لم يقصد أن هذا الكتاب يكون مرجعا شاملاً كاملاً ، إلا أنه وضع الخطوط الرئيسية للبحث ، والمبادىء المسيحية الأساسية للسلوك .

وقد عالج المؤلف السلوك المسيحى بالرجوع إلى القصة التاريخية ، قصة خلق آدم على صورة الله . فتحدث عن صورة الله ، وماهيتها ، وكيف فسدت الصورة بقصة التمرد ضد الله . ثم يتقدم المؤلف ليوضح مفهوم التجديد كخطوة للتحرر من حالة التمرد ضد الله ، الى حالة التصادق مع الله . وفى نطاق الحياة المجددة يواجه المسيحى صراعا مستمرا مع الخطيئة ، يمتد إلى تفكير الإنسان فى الاختيار بين الصواب والخطأ . وقد فسر الناس الحرية المسيحية تفسيرات مختلفة .

فما هو مفهوم الحرية المسيحية ؟ هل المسيحى حر ؟ وما هى حدود هذه الحرية ؟ وما هو مفهوم التحرر من الناموس ؟ وهل للسلوك المسيحى قيود أو قوانين ؟ أم أنه مطلق حسب راحة كل فرد دون تدخل من الغير . وفى ضوء مفهوم الحرية المسيحية ، يعالج المؤلف فكرة العثرة ، والعثرة من الأمور التى اختلف الكثيرون فى فهمها ، بل وأساء الكثيرون فهمها . لذلك كان من اللازم أن يفرد المؤلف فصلا خاصا للتحدث عن العثرة وشرحها شرحاً مستفيضاً .

ثم يختم المؤلف بحثه بوضع الأسس الرئيسية للسلوك المسيحى المنتصر فى ضوء قيم السلوك ومبادئه التى نوقشت فى هذا الكتاب .

وقد كان للمؤلف بعد ظهور الطبعات الأولى من هذا الكتاب لقاءات عديدة ، دعى إليها ، لمناقشة فلسفته التى انطوى عليها فكر هذا الكتاب . ولهذا فقد حاول المؤلف فى هذه الطبعة أن يضمن مؤلفه ما انطوت عليه أسئلة واستفهامات عديدة فى ذهن القارئين .

وإن دار الثقافة ، تقدم هذا الكتاب ليكون أساسا لدراسات ومناقشات وبحوث فى الكنائس ، وجمعيات الشباب وغيرها ، لتكون له فاعلية كبرى فى حياة الدارسين والباحثين .

دار الثقافة

الفصل الأول

صورة الله



« نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض . فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثى خلقهم » .



(تكوين ١ : ٢٦ ، ٢٧)

« يوم خلق الله الانسان ، على شبه الله عمله » .

(تكوين ٥ : ١)

خلق الله الانسان على صورته ، ولا شك أن الصورة المقصودة هنا ليست صورة جسدية فإن الله روح ، لكن خلق الله الناس — على صورته — باعتبارهم أبناء له ، ولعل بولس يوضح هذه الحقيقة وهو يتحدث إلى كنيسة رومية (٨ : ٢٩) .

« الذين سبق فعرفهم . سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه . ليكون هو بكرا بين إخوة كثيرين » ، فالبنوة هى أساس العلاقة بين البشر والله .

وقد تمتع الانسان بامتيازات عديدة جدا نتيجة خلقه على صورة الله ، وهاك بعض هذه الامتيازات :

الامتياز الأول

يمتاز الانسان على سائر المخلوقات ، وبالتالى فإن له قيمة كبرى لأنه يحمل صورة الله .

لا شك أن الانسان يتميز عن سائر المخلوقات ، فإن للانسان عقلا وحكمة وأخلاقا . لا شك أن بعض الحيوانات لها عقول ، ولكن الانسان أسمى المخلوقات عقلا ، وبالتالى فهو أسماها حكمة . كما أن للانسان مبادىء أخلاقية ليست للحيوان . إن عقل الانسان وحكمته وأخلاقه مصدرها الأساسى هو « الله » فقد خلق الله الانسان على صورته .

مما تقدم يتضح أن للانسان القدرة على تكوين علاقة عاقلة مع الله ، وبالتالى مع الناس . وهى أيضا ميزة تفرد الانسان بها . ولذا

فإن قدرة الانسان على إقامة علاقة مع الله ومع الناس ، تميز الانسان عن الحيوان . فإن كان للحيوان — علاقة ما — مع الحيوانات الأخرى ، إلا أنها ليست على مستوى العلاقة الحية العاقلة التى يقدر الانسان أن ينشئها . ويرى بعض المفكرين أن هذه القدرة الرائعة هى « صورة الله فى الانسان » .

من هذا نرى أن للانسان قيمة كبرى ، فلو نظر الانسان لنفسه نظرة حقيرة فهو مخطىء ، وعليه أن يدرك أنه صورة الله ، أنه ليس حقيرا تافها ، أنه يحمل « صورة الله » لهذا فهو خالد ، وقد ميزه الله بهذه الصفات :

الحرية : يأكل من جميع شجر الجنة .
الحب : يتبادل الحب مع الانسان الآخر ، شريكا له .
السيادة : له السلطة على جميع المخلوقات .
الخلق : له المقدرة على انجاب نسل ، للإثمار والإكثار .

وفى ضوء هذه الميزات نجد أن الله قد أسند إلى الانسان من ميزاته الشخصية ، وخاصة ميزة خلق البشر عن طريق الانجاب . وهى ميزة تفرد الانسان بها ، على سائر الخلائق .

من هذا نرى الانسان ، كائنا له احترامه الذاتى ، وله مجده على سائر خلائق الله . ولقد أراد الله له ذلك ، ليكون مكملاً دور الله كخالق فى الخليقة ، وعن طريقه يواصل الله دوره الرائع فى مهام المسكونة .

فإن رأينا الانسان ، وهو يستخدم العلم ، يصل للقمر ؛ ويبتكر الوسائل العلمية الجبارة ، فهى صورة الله فى الانسان ، التى جعلته يحمل هذا الدور فى الخليقة .

الامتياز الثانى

الله أب للبشر

إن حقيقة « صورة الله » هى منح البنوة للبشر ، وقد خلق الله جميع الناس أبناء له بمقتضى « الخلق » . لكن الناس تركوه وهجروه وسلكوا فى طريق الخطية والشر ، فأراد الله أن يسترد البشر إليه ويستعيدهم أبناء مخلصين . وفعلا تم ذلك عن طريق الفداء . فإن كانت البنوة الأساسية بحسب الخلق قد فقدت قيمتها وامتيازها بسبب الخطية ، إلا أنها استردت قوتها وعزتها بالفداء .

إن الله لم يرفض الانسان ، بسبب خطاياه ، لكنه تمسك به . إن كان الانسان — فى حريته — قد هجر الله ، لكن الله لم يهجره . تابعه بالحب ، يطرق على باب قلبه ، يهتم به ، حتى يعود . وبنوة الانسان لله ، بمقتضى الخلق ، بنوة تشمل الخليقة كلها . فان شمسه يشرق على الأشرار ، كما يشرق على الأبرار ، دون فرق . إن رعايته تشمل كل الخليقة ، من مؤمنين وغير مؤمنين . وأبوة الله للبشر ، شاملة للجميع .

إن البنوة لله تلزمنا بسلوك أخلاقى معين وإيمان معين ، فإن سلوكنا ينبغى أن يتفق مع « صورة الله » التى نحملها فى كياننا .

الامتياز الثالث

الانسان كائن روحى ، لا يقدر أن يعيش سوى بالشركة مع الله

إن العلاقة بين الله والانسان الذى خلقه على صورته ، هى علاقة حية فمتى دخلها الايمان صارت شركة — كشركة الكرمة والأغصان — شركة حياة وموت . لا يمكن أن تنفصل الأغصان وتبقى حية ، وفى هذا عبَّر القديس أوغسطينوس عن نفسه قائلا : « يا إلهى .. أنت خلقتنا ، لهذا لن تجد نفوسنا راحة إلا عندك » .

إن هذه الشركة تعلن مقدرة الانسان على الانتصار على الخطية ، والمعيشة الطاهرة مع الله .

إنه ، ولا شك ، يحمل صورة الله .

الفصل الثانى

تمرد ضد الله



« الله عالم أنه يوم تأكلان منه ، تنفتح أعينكما ، وتكونان كالله عارفين الخير والشر »
(تكوين ٣ : ٥)

« فانفتحت أعينهما ، وعلما أنهما عريانان »
(تكوين ٣ : ٧)

« وقال الرب الاله :
هوذا الانسان قد صار كواحد منا ، عارفاً الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويحيا إلى الأبد » .
(تكوين ٣ : ٢٢).

بدأت الحياة فى جنة عدن حياة هادئة وادعة . عاش آدم وحواء حياة الشركة الممتعة . كانا يمارسان سلطتهما على كل الكائنات . وكانا فى انتظار الحادث السعيد الأول فى تاريخ البشرية . كانت حياتهما شركة مع الله وشركة زوجين سعيدين .

بدأت الحياة بشريعة شفوية أعطاها الله لآدم وحواء ، فحواها ممارسة السلطة على كل الكائنات فى الجنة ، وتبادل الحب بينهما كأول « ابنين » خلقهما الله على صورته . وانتظر منهما النسل الصالح ، لعالم صالح .

كانت الأرض كلها خير .. والعالم كنيسة . وضع الله فى وسط جنة عدن « شجرة الحياة » . لكى يأكل منها آدم وحواء — ثم نسلهما من بعدهما — ويعيشون إلى الأبد . ولكنه وضع إلى جانب شجرة الحياة « شجرة معرفة الخير والشر » ولقد كانت هذه الشجرة الأخيرة بمثابة الشريعة الأولى فى تاريخ البشرية . أوصى الله آدم أن يأكل من كل شجر الجنة خاصة شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد . وأوصاه أيضا ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر ، فإن أكل مات .

تمرد آدم وحواء على هذه الوصية .

أوليست هذه هى طبيعة البشر ؟ ألسنا نتضايق لمجرد وجود حد للامتيازات العديدة التى نحصل عليها ؟ أو لسنا نجد الكثيرين يتذمرون على أشياء تافهة وينسون الميزات الكبرى التى يتمتعون بها ؟

تمردت حواء على الله ، بتأثير الحية . وتمرد آدم على الله بتأثير

حواء ، « وعندما رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمارها وأكلت وأعطت رجلها أيضا فأكل » (تكوين ٣ : ٦) .

حاول البعض إثارة الفكرة ، بأن الخطية بدأت بالممارسة الجنسية بين آدم وحواء . ولا شك أن هذه الفكرة خاطئة فالممارسة الجنسية جزء من ميزات خلق الانسان . إن الممارسة الجنسية ، جزء من علاقة الانسان بإنسان ارتبط به ، وأفرد حياته الشخصية له . وهى جزء من مقاصد الله للانسان .

إن الخطية هنا ، هى تمرد الانسان على وصية الله . ورغبة الانسان أن يكون « كالله » ، أى فى مكان الله . فالتعالى ، والكبرياء على الله ، شوه العلاقة بين الانسان والله . رغم أن العلاقة بين الله والانسان استمرت كما هى . فالله لم يتراجع فى حبه للانسان ، وتقديره له ، مما دفع الله أن يفدى الانسان ، ليسترد الانسان من جانبه ، علاقته المفقودة مع الله .

تم كل هذا دون مقاومة من حواء ولا من آدم . وبهذا تشوهت صورة الله فى الانسان . وبذا صارت الخطية جزء من كيانه . وبالتالى دخلت الخطية إلى العالم أجمع . وأخطأ الجميع ، فإنه « ليس بار ليس ولا واحد » (رومية ٣ : ١٠) إذ « الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رومية ٣ : ٢٣) .

وكان التصرف الطبيعى بعد ذلك أن يمنع الله آدم وحواء من الأكل من شجرة الحياة . فعندما كانا بارين كانا يأكلان من الشجرة ، لكى

تكون لهما حياة أبدية . ولكنهما — بعد الخطية — كان من الخطر أن يأكلا من شجرة الحياة ، ويعيشان إلى الأبد فى جسد الخطية . فكان لابد من طردهما من جنة عدن ، والحكم عليهما بالموت . فإن الموت هنا علاج لمشكلة الشر ، وتحرير للانسان من جسد الخطية .

وقد نشأت تطورات عديدة نتيجة دخول الخطية إلى الانسان ، وسقوط الانسان تحت سيادتها وسلطانها . وهاك بعض الحقائق :

أولاً — عرف الانسان الخير والشر

قال الله : « هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر » وبذلك أصبحت للإنسان المقدرة على التمييز بين الخير والشر . لا شك أن تمييز الله بين الخير والشر يختلف عن تمييز الانسان بينهما ، فإن آدم وحواء عرفا الخطية عن طريق السقوط فيها ، وعصيان الله ، وشعورهما بأنهما عريانان .

ثانيا — تشوهت صورة الله فى الإنسان

لقد دخلت الخطية إلى الإنسان ، فتشوهت صورة الله . إن الصورة لم تتلاش ، لكنها باقية — وإن كانت مشوهة — وسنرى فيما بعد كيف تمكن الله من إزالة تشويهات الصورة فى حياة الانسان .

وبذلك نرى أن الخطية الأولى للإنسان هى « العصيان » أو « التمرد » ، نتيجة الكبرياء . وبهذه الوسيلة دخلت الحية إلى حياة الانسان الأول ، وبالتالى إلى كل الخليقة .

الخطية : أنواعها ومظاهرها

وردت الخطية فى معانى مختلفة فى الكتاب المقدس ، ويظهر ذلك من بعض الأقوال التى توضح هذه المعانى أو الأنواع . فقد جاء فى سفر الخروج (٣٤ : ٧) أن الله « غافر الاثم والمعصية والخطية » وصلى كاتب المزمور (٥١ : ١ ، ٢) قائلا : « امح معاصى ، إغسلنى كثيرا من إثمى ، ومن خطيتى طهرنى » . ففى القول الأول نرى أن أنواع الخطية هى الاثم والمعصية والخطية ، وفى القول الثانى تظهر المعصية والاثم والخطية .

عندما تحدث كاتب المزمور الأول (عدد ١) عن البار ، وصفه بأنه الرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » . وفى هذه الصورة تظهر الأنواع : الشر ، الخطية ، الاستهزاء . ويقصد بالاستهزاء هنا المعصية ، فإن الذين يعصون الله ويتمردون عليه ، يسخرون من وصاياه ويستهزئون بها .

وفى ضوء الدراسة اليونانية والعبرية لهذه الكلمات ، نرى أن معانيها هى :

الاثم : عدم البر وعدم الاستقامة . السير فى طريق معوج . إنها تمثل اعوجاج البشر .

المعصية : عصيان الله وعدم طاعته وعدم الخضوع له .

الشر : التعدى وتخطى الحدود التى رسمها الله . فإن فى الانسان

ميولا طبيعية فطرية ، لو تخطت حدودها صارت شرا . فالميل للأكل ميل برىء ولكن لو تخطى الحدود صار شراهة . والميل للجنس الآخر ميل برىء ، لكن لو تخطى ذلك ، إلى استغلال الطرف الآخر ، صار شرا . وهكذا ..

الخطية : وهى عدم إصابة الهدف . فللإنسان هدف أساسى فى حياته وهو تمجيد الله . فكل تصرفات الانسان تكون خطايا ، إن كانت لا تحقق هذا الهدف .

فما هى الخطية بأنواعها ؟

ليست مجرد خطأ عادى أو غلطة ، إنها تمرد الانسان ضد الله — سواء بالفكر أو بالقول أو بالفعل .

عندما أخطأ داود خطيته المشهورة ، بكى بدموع حارة ، وصرخ لله قائلاً : « إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت . لكى تتبرر فى أقوالك . وتزكو فى قضائك » (مزمور ٥١ : ٤) .

وفى ضوء ذلك نكتشف أن الخطية أياً كانت . هى قطع العلاقة مع الله وانفصال الشركة والبعد عنه .

نظر المسيح لخطايا البشر بطرق مختلفة . فأحيانا تعامل مع الخطاة باللطف والرقة ، وأحيانا تعامل معهم بالتحذير والإنذار ، ونرى ذلك فى ضوء تمييز معين لخطايا البشر . فهناك خطايا جسدية وهناك خطايا روحية معنوية .

أما الخطايا الجسدية ، فهى الخطايا التى تصدر عن ضعفات

الجسد ، خطايا الانحلال الخلقى : كالسرقة والقتل والزنى وأمثال ذلك ، والخطايا الروحية المعنوية مثل التحزب والشقاق والكبرياء والأنانية وأمثال ذلك .

عامل يسوع الذين أخطأوا الخطايا الجسدية بالرفق ، كموقفه مع الزانية أو أمام إنكارِ بطرس . إلا أنه عامل الذين أخطأوا الخطايا الروحية بالشدة ، متحدثاً إليهم دائما : « ويل لكم » ، والسبب فى ذلك أن الخطايا الروحية قد لا يحس بها أصحابها ، لكنها فى منتهى الخطورة ، بينما الخطايا الجسدية وليدة ضعف الجسد . ويحتاج أصحابها إلى قوة فى الايمان تسندهم أمامها .

وفى هذا لم يبرر المسيح أى نوع من الخطايا . فكلها تمرد ضد الله مهما كان نوعها . فإنه ينتج عن الخطية الموت الروحى والجسدى والأبدى ، لأن « أجرة الخطية هى موت » (رومية ٦ : ٢٣) .

الفصل الثالث

التجديد



« الذى خلصنا ، ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية »

(تيموثاوس الثانية ١ : ٩)

« إن كان أحد فى المسيح ، فهو خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً »

(كورنثوس الثانية ٥ : ١٧)

تشوهت صورة الله فى حياة الانسان . فاحتاج الانسان لإعلان آخر — جديد — ليرد له صورة الله مرة أخرى ، أو — بالحرى — ليعيد للصورة جمالها . لهذا دبر الله فداء الانسان من الخطية فإنه « كأنما بانسان واحد ، دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » (رومية ٥ : ١٢ » و « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » ليكونوا « متبررين مجانا بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السابقة بإمهال الله » (رومية ٣ : ٢٣ — ٢٥) .

أما القيود القانونية التى أمسكت الانسان فى الخطية ، فلم يتركها يسوع ، « إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا ، وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب » (كولوسى ٢ : ٤) . وبذلك قدم يسوع الدعوة لكل المتمردين على الله ، قائلاً : « هأنذا واقف على الباب وأقرع ، إن سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤيا ٣ : ٢٠) .

« ذلك الذى خلصنا ، ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت فى المسيح يسوع ، قبل الأزمنة الأزلية.» (تيموثاوس الثانية ١ : ٩) .

للخلاص معنيان :

فإن الكلمة اليونانية المترجمة « خلاص » تعنى :

١ — شفاء المريض — فالخطية مرض .

٢ ـــ انقاذ جماعة من الناس من الظلم وتحريرهم ـــ فالخطية عبودية .

وطريق الخلاص من جانبين :

١ ـــ جانب الله : النعمة ، وهى عطيته المجانية دون انتظار مقابل .

٢ ـــ جانب الأنسان : الايمان .

« لأنكم بالنعمة مخلصون بالايمان ، وذلك ليس منكم ، هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أفسس ٢ : ٨ ، ٩) و « البار بإيمانه يحيا » (حبقوق ٢ : ٤ ورومية ١ : ١٧) .

لهذا ، فإن بداية طريق السلوك المسيحى هى التوبة الصادقة عن الخطية ، ثم الايمان بالله .. وبذلك يصحح الله صورته المشوهة فى حياة الانسان . هذا ما يسميه بولس الرسول : « التجديد » فيقول : « إن كان أحد فى المسيح ، فهو خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » (كورنثوس الثانية ٥ : ١٧) .

ثم يتوسع بولس فى شرح معنى التجديد بأن يطلب : « أن تخلعوا من جهة التصرف السابق ، الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ، وتتجددوا بروح ذهنكم ، وتلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (أفسس ٤ : ٢٢ ـــ ٢٤) .

إن الواقع هو أن الله يخلق منك إنسانا جديداً على صورته فى البر وقداسة الحق .

الفصل الرابع

الضمير



« الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا فى قلوبهم ، شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة » .
(رومية ٢ : ١٥)

« لذلك أنا أيضا أدرب نفسى ليكون لى دائماً ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » .
(أعمال الرسل ٢٤ : ١٦)

يتحدث الكثيرون عن الضمير باعتباره صوت الله ، وباعتباره شريعة لا تخطىء ، وباعتباره الوسيلة التى توقظ الانسان للتوبة والتجديد ، وبذلك يظن الكثيرون أن الضمير طريق مأمون ، ولابد من طاعته طاعة كاملة ، وكثيرا ما تقول للشخص المخطىء « اعمل بوحى ضميرك » ، ظنا منك أنه لو سلك فى طريق ضميره لسلك السلوك السليم الصحيح .

لم يولد الانسان ومعه جهاز يتحرك تلقائيا ويتخذ القرارات فى مواجهة المواقف والقيم المختلفة ، إسمه « الضمير » . وليس فى الوجود « ضمير » يتحدث فى كل شخص بنفس الاسلوب والمنطق والمعنى الذى يتحدث به فى شخص آخر . وليس هناك « مقياس » واحد تقاس به كل القيم فى كل أنحاء المسكونة على مستوى واحد . فإن البعض يظنون أن « الضمير » « مقياس » كمقاييس الرياضة ، لا يتبدل ولا يتغير بتغير البيئة أو المجتمع أو الظروف .

لقد جاء الوقت لندرس فكرة « الضمير » وما تعنيه . وسيدور الحوار هنا من كلمة الله وكيف شرحت لنا فكرة « ضمير » الإنسان .

لم ترد كلمة « ضمير » فى العهد القديم ولكنها وردت فى العهد الجديد وأسفار « الأبو كريفا » لفترة ما بين العهدين . إلا أن كلمة ضمير جاءت فى الكتاب المقدس فى كلمة « قلب » فالمقصود بالقلب هو الضمير فى مثل هذه الأقوال :

« وكان بعد ذلك أن قلب داود ضربه على قطعه طرف جبة

شاول » (صموئيل الأول ٢٤ : ٥) .

« لأنه إن لامتنا قلوبنا فالله أعظم من قلوبنا ، ويعلم كل شيء » (يوحنا الأولى ٣ : ٢٠) .

« إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم » (أفسس ٤ : ١٨) .

« فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم (مرقس٣ : ٥) » .

« قال (يسوع) لهم : إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نسائكم . ولكن من البدء لم يكن هذا » (متى ١٩ : ٨) .

كما استخدم فكر الانسان بدلا من كلمة ضمير ، كما فى الأقوال التالية :

« جعل الأبدية فى قلبهم » (الجامعة ٣ : ١١) .

« شاهداً أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أومحتجة » (رومية ٢ : ١٥) .

ونحن هنا ندرس الضمير من جوانبه المختلفة ، لنتحقق معناه ومدى طاعتنا له .

الضمير الطبيعى

إن الضمير هو الحاكم الأخلاقى الذى يراقب سلوك الانسان ،

ويعاونه فى الحكم على ما هو صواب وما هو خطأ . يتكون الضمير من تفاعل عقل الفرد مع البيئة التى ينشأ فيها ، باعتبار أن الدين جزء أصيل من هذه البيئة . وبذلك يكون لضمير كل شخص تاريخ يبدأ معه منذ طفولته ، ويتطور معه كلما نما أو تعلم . وتتوقف أحكام الضمير على تعلمه ونموه . فهناك ضمير يتعثر فيضل صاحبه . كم من حروب ، وقسوة ، وجرائم قتل وغيرها ، تعمل باسم الضمير ؟ ولكن الضمير قد ينمو ويتدرب ، فيكون حاكما صالحا للفرد .

ولذلك ترى أن كثيرا من النواهى والمحرمات يرتبط بالمجتمع وتقاليده وعاداته . يتعلمها الضمير من الأسرة ومن المجتمع ومن قادة الدين المحيطين . فلا عجب إن قلنا أن مبادىء السلوك ومفاهيمه يتحكم فيها النظام الاجتماعي والأخلاق . ينشأ عن ذلك أن الضمير يتكون تبعا لظروف طفولة الفرد ، وتربيته التى تلقاها ، والمعامله التى عاشها ، وهو ــ فى الغالب ــ تكوين لا شعورى .

هذا هو الضمير الطبيعى ، الذى قال عنه بولس الرسول وهو يصف الطبيعتين : « الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا فى قلوبهم شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة » (رومية ٢ : ١٥) .

ونحن نسأل كثيرا ، هل يوجد إنسان ليس عنده ضمير ؟ وما هو موقف القبائل والبلاد التى لم تعرف نور الايمان ، هل عندهم ضمير ؟ نعم . فإن بولس الرسول يوضح لنا هذا الأمر : « لأنه الأمم ، الذين

ليس عندهم الناموس ، متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس ، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم » (رومية ٢ : ١٤) .

يسميه فرويد ــ العالم النفسى المشهور ــ الرقيب ، وعمل الرقيب الطبيعى هو أن يجعل الإنسان يسلك سلوكا يرضى عنه المجتمع . إنه يراعى القيم الأخلاقية التى يقرها المجتمع .. مثل المحافظة على حياة الناس واحترامهم واحترام المصلحة العامة ، واحترام الصحة العامة وهكذا ..

الضمير الطبيعى ينضج بالخبرة والنمو . وقد شرح لنا بولس الرسول فى رسالته إلى رومية الدور الذى يقوم به الضمير الطبيعى فى حياة الانسان ، عندما قال : « إن الناموس روحى ، وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية . لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فاياه أفعل .. لست بعد أفعل ذلك أنا . بل الخطية الساكنة فى .. لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد .. ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى .. » (رومية ٧ : ١٤ ــ ٢٤) . فالضمير الطبيعى يوجه بولس ليفعل الصالح . ويوافق بولس على ذلك . فهو يريد أن يفعل الصالح ، ولكن ليست له المقدرة . فإن هناك صراع داخلى قوى ، وقد لا يتمكن الضمير الطبيعى من إصلاح السلوك .

ويصف الرسول الضمير الطبيعى فى قوله : « ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ولا يقدر أن يعرفه

لأنه إنما يحكم فيه روحيا » (كورنثوس الأولى ٢ : ١٤) .

الضمير المسيحى

لا شك أننا صدمنا ونحن نتحدث عن الضمير الطبيعى .. الذى قد ينضج وقد لا ينضج ، وحتى إن نضج ، فليست له القدرة على توجيه الانسان وإبعاده عن الخطأ .

فما هو الضمير المسيحى إذاً ؟ إنه الضمير الطبيعى بعد أن تغير وأصبح مسيحياً .. فإنك بعد تجديدك وحصولك على الايمان ، يصبح ضميرك فى نفس الوقت ضميرا مسيحيا . « فكم بالحرى يكون دم المسيح ، الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب ، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى » (عبرانيين ٩ : ١٤) ، والضمير المسيحى يحكم على نفسه بالمبادىء الأخلاقية المأخوذة من المبادىء المسيحية ، مضافة إلى تقاليد المجتمع وعاداته . ولهذا فإن الضمير المسيحى يحتاج لتدريب وتعليم وتهذيب . إن الضمير المسيحى قد يخطىء ، كما أخطأ شاول الطرسوسى — بإسم دينه — وهو يضطهد المسيحيين . ثم قال عن نفسه : « فعلت بجهل فى عدم إيمان » (تيموثاوس الأولى ١ : ١٣) . إلا أن بولس المسيحى ، يقول : « لذلك أنا أيضا أدرب نفسى ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس » (أعمال الرسل ٢٤ : ١٦) . فلا شك أن بولس يعرف أن الضمير أحيانا يخطىء . لذلك يحتاج لتدريب مستمر ، ليكون ضميره بلا عثرة دائما . فكم من « ضمائر موسومة » (تيموثاوس الأولى ٤ : ٢) ، وكم من ضمائر مخدوعة ؟ والسبب

فى ذلك أن الضمير المسيحى يستمر متأثراً إلى حد كبير بتقاليد المجتمع وعاداته . وفى مرات كثيرة يكون المسيحى مجرباً بإرضاء المجتمع فى الخطأ ، فيخطىء إلى الله . قال يسوع : « تأتى ساعة ، فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى » (يوحنا ١٦ : ٢ ، ٣) . قد تقول إن هذا يتصل بضمائر غير مسيحية ، وهذا صحيح . ولكنه نموذج لضمائر مسيحية تخطىء فى حق الغير ، وتظن أنها إرادة الله . فإنه « توجد طرق كثيرة تظهر للناس مستقيمة ، ولكن عاقبتها طرق الموت » . ولعل ذلك هو السبب فى أنك تغير رأيك يوما بعد يوم .. فما اعتبرته بالأمس صوابا قد تعتبره اليوم خطأ ، والعكس . نهى البعض عن استعمال الراديو ، ثم عادوا اليوم يسمحون لأنفسهم باستعماله .

كما أننا نجد صراعاً كبيراً بين الضمير الفردى (ضمير الفرد) والضمير الجماعى (ضمير الجماعة) التى يعيش معها الفرد ، أو الضمير الجمعى (ضمير الجموع الكبيرة التى تحيط بالفرد عن قرب أو عن بعد) . وفى معظم الأحيان تكون الجماعة الصغيرة التى يحيا معها الفرد هى صاحبة السيادة الكبرى على ضميره . وحيث أن « رضا الجماعة » يعتبر من أهم العوامل التى تؤثر على سلوكنا ، فإننا نخضع للجماعة فى أوقات مختلفة ــ منكرين بعض مبادئنا أحيانا . ويكون الموقف خطرا لو أن الجماعة التى يعيش فيها الفرد جماعة غير مسيحية قلباً وإيماناً .. فتكون النتيجة أنه فى خطر السلوك الخاطىء بتأثيرهم . ويهدف الحصول على رضاهم . ولهذا فإن شهادة الضمير المسيحى هى التى تقودنا فى طريق الصواب . إن الضمير المسيحى

ليس هو صوت الله ، وإنما يستخدم الله الضمير المسيحى ليقود الانسان فى التفكير والتصرف والسلوك . قال بولس : « أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس » (رومية ٩ : ١) . ويقول لكنيسة كورنثوس فى رسالته الثانية إليها : « لأن فخرنا هو هذا . شهادة ضميرنا ، أننا فى بساطة وإخلاص الله ، لا فى حكمة جسدية بل فى نعمة الله تصرفنا » (١ : ١٢) ، ويقول كاتب سفر أعمال الرسل عن بولس : « فتفرس بولس فى المجمع وقال أيها الرجال الاخوة . إنى بكل ضمير صالح قد عشت لله إلى هذا اليوم » (أعمال الرسل ٢٣ : ١) . ثم يصف ضميره بأنه طاهر فى قوله لتلميذه تيموثاوس فى رسالته الثانية إليه « إنى أشكر الله الذى أعبده من أجدادى بضمير طاهر . كما أذكرك بلا انقطاع فى طلباتى ليلا ونهارا » (١ : ٣) .

الضمير المسيحى ضمير طاهر صالح ، يتصرف فى بساطة وإخلاص ، يأخذ إرشاده من الروح القدس ونعمة الله الغنية . إنه يحتاج أن يتعلم معرفة إرادة الله من الكتاب المقدس ومن الاستنارة الواعية بالروح القدس ، ومن التشاور مع أبناء الله الدارسين للكلمة المقدسة ، وبذلك يصبح الضمير المسيحى ضميرا مثقفا مهذبا مدربا مستعدا للقيام بعمله .

وعمل هذا الضمير هو تبكيت الانسان على خطية يرتكبها . فهو الذى دفع آدم وحواء أن يشعرا أنهما عريانان بعد ارتكابهما للمعصية بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر . بل أنه يوجه الانسان قبل

الخطأ لكى لا يزل . بل أنه يزيد مشاركة الناس ومحبتهم لبعض . قال بطرس الرسول : « لأن هذا فضل ، إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله ، يحتمل أحزاننا متألما بالظلم » (بطرس الأولى ٢ : ١٩) .

أين الضمير ؟

أين هو الضمير ؟ إنه ليس شيئا محدودا فى الانسان . إنه كل الانسان . إنه المبادىء والقيم التى توجه الانسان للصواب عن طريق الفكر والعاطفة . بل إن الضمير المدرب حسنا ، يمكنه أن يتحكم — ولو إلى حد ما — فى بعض الانفعالات اللاإرادية والانعكاسات العصبية ، فلا يتصرف عصبيا أو لا اراديا تصرفات خاطئة . قال بولس : « وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وايمان بلا رياء » (تيموثاوس الأولى ١ : ٥) ، وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « صلوا لأجلنا لأننا نثق أن لنا ضميرا صالحا راغبين أن نتصرف حسنا فى كل شيء » (١٣ : ١٨) .

مبادىء عامة عن الضمير

إن الضمير لايموت ، قد يسكت قليلا ، ثم يعود ويستيقظ . قد يمكنك أن تخدره ، لكنه سيعود للحياة والنشاط مرة أخرى . لا يوجد شخص بلا ضمير . ولا يوجد شخص ضميره مائت . لأنه مهما تخدر الضمير فسوف يصحو ويثور على أخطائك ضد الله . قد ينام الضمير قليلا أثناء ممارسة الانسان للخطأ ، حيث يكون صوت الاغراء أعلى من صوت التحذير ، لكنه يثور بعد حدوثها مباشرة . الضمير سيد للإنسان لكن الله هو سيد الضمير .

قال القديس أوغسطينوس : « إن الله قد وضع ملحا على ألسنتنا ، حتى نعطش إليه دائما » . إن الضمير يريد أن يرد للإنسان صورة الله ، أو ـــ بالحرى ـــ يريد أن يصحح صورة الله المشوهة فى حياة الانسان . فإن الله يستخدمه ليعمل جاهدا فى الانسان ليعيده للشركة معه . لذلك ينبغى أن يكون الضمير إيجابيا حيا ، يتفاعل مع فهم الانسان للقيم والمشكلات ، ويوجه الانسان فى إصدار القرارات على المواقف المعينة . إن عدم اتخاذ قرار لهو قرار فى حد ذاته . أما التجاوب الفعال فى تفكير الانسان وضميره قادر على توجيه الانسان توجيها أفضل .

ولعلى أضيف من قبيل الاحتراس ـــ أن هناك من لهم حساسية لحد الهوس . فهناك من يبذل جهدا أن يفتش على خطية ارتكبها ، وهناك من يفسر بعض تصرفاته البريئة أنها خطايا . إن هؤلاء يفقدون الحساسية الصحيحة للفهم بين الصالح والطالح .

إن الضمير هو كيان الانسان كله : فكراً وعواطفا .. لا يوجد مكان محدد يقيم فيه الضمير ، وليس الضمير مادة ليكون كذلك . ولكنه الطاقة التى يمكن أن توجه الانسان فى سلوكه وتفكيره .

إن الضمير هو « القيم » و « المبادىء » التى يصبو إليها الانسان ، فإن نفذها أطاع ضميره ، وإن رفضها خان ضميره . ولكل إنسان « مثل » أفضل يصبو إليها .. ومتى كانت المثل والمبادىء والقيم مستقاة من كلمة الله ، فالضمير مسيحى .

ولكل إنسان حريته الكاملة أن يطيع ضميره أو يخالفه . فلقد خلق

لله الانسان حرا ، إلا أن كل إنسان لديه الدوافع التى تشده ليعمل لأفضل ، ولديه الحوافز التى تدفعه ليعمل الخطأ . يعيش الانسان هذا صراع بين الأفضل والخطأ ، يختار ما يريد ..

من هذا نشأت التعددية بين الأفراد أو الجماعات . فرغم أن القيم لاساسية واحدة ، ومتفق عليها ، إلا أن بعض القيم الفرعية يختلف بها المؤمنون . فقد يقبل شخص ، مالا يقبله آخر ، وكلاهما بضمير حى أمام الله . ولا يجوز لمن يأكل أن يزدرى بمن لا يأكل ، كما أنه ' يجوز لمن لا يأكل أن يدين من يأكل . لقد سمح الله ، للإنسان ، أن يكون ذاته ، كما سمح بتعددية الفكر والقيم بين الأفراد الجماعات .

الفصل الخامس

صراع مع الشر



« لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون »

(غلاطية ٥ : ١٧)

« أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى »

(رومية ٧ : ٢٣)

منذ أن ينجو الانسان من الخطية بالخلاص منها ، يعيش فى صراع دائم ضد الخطية . فإن كانت « صورة الله تحيا فى الانسان ، لكن « الخطية » التى دخلت فى الانسان تحيا فيه « قوة هدامة » تقوده للشر والخطية . وذلك : « لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر ، حتى تفعلون ما لا تريدون » (غلاطية ٥ : ١٧) .

ويشعر الرسول بولس بالمشكلة ، ويفسرها فى قوله : « لست بعد افعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى .. لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل .. » ، وانى « أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى » (رومية ٧ : ١٧ ، ١٩ ، ٢٣) .

إلا أن هناك فرقا واضحا بين الصراع ضد الخطية وبين امتحان الله للإنسان . فقد امتحن الله ابراهيم قديما عندما طلب منه أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة (تكوين ٢٢ : ١) ، ولكن الخطية تقدم تجربتها للانسان لاغرائه للسقوط فيها فانه حتى لو سكت الانسان ، تشتاق الخطية إليه ، كما اشتاقت قبلا إلى قايين ، وربضت له عند الباب (تكوين ٤ : ٧) .

ولكنه يمكننا أن نقول أن قوة الصراع قد تقل بمرور الزمن ، إذ يتدرب الضمير الشخصى تدريبا كافيا ، وتكون له القدرة على مواجهة التجارب والمشكلات بقوة وعزم أقوى وأكبر .

ومما لا شك فيه أن قوة التجربة أو ضعفها يتوقف على أمور

كثيرة . فكلما كان ذكاء الانسان حادا كانت رؤيته للأمور أدق ، وبالتالى كانت حساسيته للتجربة أعمق . وكذلك فى حالة من ينضج عاطفيا . لذلك لا نجد مقياسا واحدا نقيس به مقدرة كل واحد فى وقفته أمام الخطية ، إذ كلنا نختلف . فعلى قدر ايماننا ، ونضوجنا ، وذكائنا نواجه التجارب وننتصر عليها .

إن للصراع معنى أعمق فى حياة كل مؤمن ، فإنك لن تكون بارا بحق سوى بمواجهة الخطية وتجاربها وانتصارك عليها . والخطية — أصلا — فى دواخلنا ، إنها موجودة فى غرائزنا التى تعيش فى حالتها البدائية التى لا تقدر القيم ولا تميز بين الخير والشر . ويتم الصراع داخل نفس الانسان بين الغرائز الدنيا وبين المثالية التى يهدف إليها الانسان (الذات العليا) .

بل أن الايمان المسيحى نفسه يثير صراعات خارج نفس الانسان ، صراعات مع المجتمع . فقد يدافع انسان عن الحق ويعترض عن طريق آخر يريد منه الكذب وإخفاء الحق . بل أن البعض يواجهون خلافات مع الأسرة أو مع الأصدقاء لدخولهم إلى مسرح الحياة المسيحية الفضلى .

وفى مواجهتنا لصراع عنيف مستمر مع الشر ، علينا أن ندرك بعض الحقائق الأساسية الآتية :

أولا — التجربة ليست خطية

قد تهاجمك أفكار شريرة تصارعك وتلازمك ، وتصر على عدم

تركك . إن الأفكار الشريرة لا تصبح شراً ما لم تخضع لها وتستجيب لندائها . وقد تهاجمك التجربة عن طريق صديق أو أى مصدر آخر . إن مواجهتك لتجربة ــ أيا كانت ــ لا تدل على أنك خاطىء . فالتجربة تواجه كل انسان على وجه الأرض . فهى تصل للراهب فى محراب وحدته ، وللمصلى أمام مذبحه . وكلما تعمقت فى الإيمان كلما زادت التجربة ، وبالتالى زاد الصراع ضد البشر .

بل كثيرا ما يشعر فتى بالكدر لأنه رأى فى منامه مناظر جنسية أو شعر بإحساسات غير مسيحية أيا كانت . إنها خيالات العقل الباطن التى لا يجوز أن نأخذها مأخذ الواقع ، فهى لا تحدث فعلا .

ثانيا ــ لا تحكم على المواقف بعواطفك

قد تجد مرة أنك غير ميال للصلاة ودرس الكتاب المقدس ، فلا تظن أنك شرير . إن حياتك كمؤمن لا يجوز أن تعتمد على العواطف . فالعواطف متقلبة وإنما تعتمد حياتك على الإيمان . إنك تحتاج فى مرات كثيرة لأن ترغم نفسك على الصلاة ودرس الكتاب المقدس .

إن حياة المؤمن بطبيعة حالها ، تمر فى مراحل ارتفاع وهبوط روحى ، كأى شىء فى حياة الانسان . فلا يوجد فينا ما يستمر على وتيرة واحدة . فلا تضطرب فى فترات الجفاف الروحى ولا تضعف . من هذا أنك قد تحضر مؤتمرا روحيا ــ تشعر فيه برفقة روحية كبرى ، ثم تخرج إلى معترك الحياة ، فتفقد بهجة روحانية المؤتمر ــ إذ تواجه صراعات الحياة الدنيا بما فيها من مشكلات وعنف . إن

« بهجة » الحياة الروحية داخل المؤتمر تعتمد كثيرا على وجودك بعيدا عن الصراعات . قد تتغير « مظاهر البهجة » لكن الإيمان الحقيقى لا يتغير . مهما أحسست ببهجة روحية داخل المؤتمر أو فى حالة وجودك مع مجتمع خاص ضيق ، فإن حقيقة حياتك الروحية لا تعرفها بعمق سوى عندما تواجه معترك الحياة . إن حياتك « خارج المؤتمر الروحى » هى الحياة الحقيقية .

ثالثا ـــ الميول الفطرية ليست خطايا

ولكن الخطية هى إساءة استخدام الميل الفطرى . فقد خلق الله فينا ميولا مقدسة طاهرة . إن الميل للطعام ميل مقدس ، أشعر به فى حالة الجوع . ولكنه لو تحول إلى جشع وطمع أو إلى سرقة للحصول على الطعام لصار شرا . وحب التملك ميل طبيعى . فالطفل يريد أن يمتلك كل ما تقع عليه يده . ويزداد الميل فيه كلما نما . ولكنه لو تحول هذا الميل إلى طمع لزيادة الملكية أو لسرقة حقوق الغير أو لسلب حقوق الله نكون بذلك قد أخطأنا . والحب ميل طبيعى مقدس ، ولكنه لو تحول إلى ميول شهوانية ـــ فى غير حالة الزواج ـــ يكون شرا .

رابعا ـــ واجه التجربة بالثبات أو الهروب

عندما تواجه الشر اثبت ولا تتزعزع . بل أنك فى حالات معينة تحتاج لمقاومة الشر فى صراع عنيف . قال الرسول يعقوب (٤ : ٧) : « قاوموا ابليس فيهرب منكم » . وقال بطرس الرسول فى رسالته الأولى (٥ : ٩) : « قاوموه راسخين فى الايمان » . فهى

مقاومة بثبات فى الإيمان فى وقت واحد . وشرح بولس الرسول وسيلة الحرب فى حديثه لأهل أفسس (٦ : ١٦) قائلا : « حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدروا أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة » .

ولكنك فى مرات معينة تحتاج للهروب . فان قدرت أن تهرب بفكرك عن التجربة إلى أفكار أخرى صالحة ، كان بها ، وإلا فعليك الهروب من مكان التجربة . ثبت يسوع أمام تجربة الشيطان فى البرية (متى ٤) ، لما له من قوة ضبط النفس . فان قدرت كذلك استمر ، وإن لم تقدر ، ارغم عقلك على التفكير فى أمور أخرى صالحة ، فان لم تقدر ، اترك مكان التجربة ، كما تركه يوسف الصديق وهرب (تكوين ٣٩ : ١٢) .

خامسا ــ صراع التدريب الشخصى

الى جانب ذلك هناك صراع آخر هو صراع التدريب الشخصى . وفى هذا تحدث بولس إلى تلميذه تيموثاوس فى رسالته الثانية إليه (٢ : ١ ــ ٧) ، يوصيه وصاياه الختامية فى حياته ، ومنها ما قال : « إن كان أحد يجاهد ، لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً » .

أما الجهاد القانونى فهو الجهاد الذى كان يحصل عليه اللاعب فى الألعاب الأوليمبية (الركض أو الملاكمة أو المصارعة) قبل أن يدخل الميدان . فكان على اللاعب أن يتمرن مدة حوالى ستة أشهر على قوانين اللعب . وأثناء ذلك كان يمارس قوانين الملعب القاسية التى تنحصر فى الأمور الآتية :

ـــ أن يكون منظما .
ـــ أن يمتنع عن أكل العجين والحلويات .
ـــ أن يتمرن على اللعب كل يوم فى موعد معين وبنظام دقيق .
ـــ أن يتمرن على اللعب فى الجو الحار والجو البارد على حد سواء .
ـــ ألا يتعاطى النبيذ ولا الماء البارد .
ـــ أن يعيش على طعام معين محدد .

بهذا يحصل اللاعب على براءة الجهاد القانونى وبالتالى يتمكن من دخول المباريات الكبرى .

ولا شك أن الدور الأكبر فى صراع الانسان ، هو صراعه الداخلى ، ليدرب حواسه وأعصابه وعواطفه وميوله ورغباته تدريباً يتفق مع التعاليم والمثل المسيحية الصادقة . هذا التدريب هو الذى تحياه كل يوم ، فى صراع متواصل مستمر ، ليكون لك الضمير النقى الطاهر ، وبالتالى ليكون لك السلوك المستقيم غير المعوج .

فلو اتخذنا ـــ على سبيل المثال ـــ حالة شخص سريع الغضب ، يريد أن يتحرر من الغضب . إنه يحتاج لدراسة عميقة لمشكلة الغضب ، وما هى العوامل والمؤثرات التى تدفعه لذلك . ويحتاج لمران وتدريب طويل فى محضر الله ومع نفسه ، لكى يتحرر من الغضب . إن الأخطاء التى ترتبط بعادة تعوَّدها الانسان ، وأصبحت جزءا من ارتباطاته العصبية ، تحتاج لجهد كبير للتحرر منها . ولا شك أن الانسان يحتاج لأن يكون فى عرش النعمة قدرا كافيا من الوقت ،

يطور حياته الفكرية والعصبية .

سادسا ـ عش منتصرا خلال فترة الصراع وبعدها

إن خطورة الأمر أثناء صراعك مع الخطية أنك قد تتصرف تصرفا خطأ تندم عليه . والانسان فى رحلة الصراع يكون ضعيفا ، قد ينهزم بسرعة . فكم أخطأ انسان فى مراحل الضعف .. يتحدث بكلمات يتمنى فيما بعد لو أنه لم يقلها ، أو يتخذ قرارات يتمنى فيما بعد لو أنه لم يتخذها . إن فترة الصراع فترة ينبغى أن يكون فيها الانسان على حذر واحتراس ، حتى لا تنبع تصرفاته من انفعالات خاطئة ، بل يحتاج للتدرب والصبر والتعقل ليتصرف بحكمة ، ناظرا إلى المستقبل .

درب نفسك وضميرك على اتباع صوت الله فى حياتك حتى لا تخطىء فى فترة الصراع . وإن انتصرت ، فلا تتكبر . ثق أن الله هو عماد النصرة . فإن لم يكن يسوع قد انتصر على الخطية على الصليب ، لم يكن من الممكن أن تنتصر أنت .

الفصل السادس

الحرية المسيحية



« فإنكم إنما دعيتم للحرية — أيها الاخوة — غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا » .

(غلاطية ٥ : ١٣)

اتباع المسيح مكلف . والتلمذة الحقيقية للمسيح مكلفة . إن من يقدِّر التكلفة وعلى استعداد لدفع الثمن قد يهلك نفسه ، ومن يهلك نفسه من أجل المسيح يخلصها (متى ١٦ : ٢٥) . ولما كانت التلمذة للمسيح اختيارية ، فاخضاع النفس للسيد أمر اختيارى أيضا . وبالتالى فإن طاعة المؤمن للسيد طاعة تنبع من رغبته . إن المؤمن لا يطيع السيد لأن السيد أمره بذلك . بل أن المؤمن يطيع السيد تلقائيا ، أو لأنه يهتم بذلك .

إن إنجيل المسيح ليس سهلا . إنه إنجيل صعب . إنه يضع الفرد فى مواجهة صادقة للقيم والمواقف ، ويعطيه حرية التصرف بازائها .

قال بولس الرسول : « فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الاخوة . غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد ، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا » (غلاطية ٥ : ١٣) .

للحرية معنيان :

١ ــ الحرية من عبودية الخطية والموت

قال يسوع : « إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا (يوحنا ٨ : ٣٦) » . وقال بولس : « فاثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية (غلاطية ٥ : ١) » .

إن الحرية من عبودية الخطية هى عبودية للبر . « وإذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر » (رومية ٦ : ١٨) . « لأنكم لما كنتم عبيد الخطية . كنتم أحراراً من البر » (رومية ٦ : ٢٠) . فإن :

« الحر المدعو هو عبد للمسيح » (كورنثوس الأولى ٧ : ٢٢) .

٢ ــ الحرية من عبودية الناموس

الناموس ، هو « الشريعة » التى وردت فى العهدالقديم . وقد كان العهد القديم يعتمد على الشرائع ، التى كانت دستورا للسلوك والحياة . وقد دعا الرسول بولس إلى التحرر من « الشريعة » للسلوك بمقتضى النعمة .

ونحن لا ننكر أن النعمة ، كانت تقف وراء الشريعة فى العهد القديم . إلا أن الشريعة كانت المظهر والأسلوب الواضح .

يتكون الناموس من الشرائع الآتية :

الشريعة الأخلاقية : وهى متضمنة فى الوصايا العشر تعبِّر عن ملاقاة الانسان بالله .

الشريعة الطقسية : وتشمل شريعة الذبائح الموسوّية تعبِّر عن طاعة الإنسان للّه .

الشريعة القضائية : وتشمل نظام الحكم تعبِّر عن طاعة الإنسان للإنسان .

لقد وجد الناموس أصلاً لإصلاح الفوضى التى كانت موجودة قبل ذلك . ولكن الناموس فشل فى تطهير البشر ، ولم يخلص بالناموس أحد « لأن من حفظ الناموس ، وإنما عثر فى واحدة ، فقد صار مجرماً فى الكل » (يعقوب ٢ : ١٠) . ولكن بولس الرسول

يرى أننا تحررنا من الناموس إذ يقول : « لأن ناموس الحياة فى المسيح يسوع ، قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت » (رومية ٨ : ٢) . وأيضا : « فإن الخطية لن تسودكم ، لأنكم لستم تحت الناموس ، بل تحت النعمة » (رومية ٦ : ١٤) . وقد أكمل الناموس نيابة عنا إذ « افتدانا من لعنة الناموس . إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » (غلاطية ٣ : ١٣) . إذ « قد كان الناموس مؤدبنا — إلى المسيح لكى نتبرر بالايمان » (غلاطية ٣ : ٢٤) .

إلا أن السيد المسيح ، نظر إلى روح الناموس ، ووجد معناه الروحى ، الذى ركز عليه بشدة . فقد سأله ناموسى : « أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع : « تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك . ومن كل فكرك ، هذه هى الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك » (متى ٢٢ : ٣٦ — ٤٠) ، وقد رأى بولس الرسول نفس المعنى فى قوله : « لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تشته ، وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك » (رومية ١٣ : ٩) ، وفى قوله : « لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل : تحب قريبك كنفسك » (غلاطية ٥ : ١٤) . وقول الرسول يعقوب : « فإن كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب : تحب قريبك كنفسك فحسنا تفعلون » (يع ٢ : ٨) . ولكن بولس يوجه الناموس إلى غايته الأساسية فى قوله : « لأن غاية الناموس . هى المسيح للبر لكل من يؤمن » (رومية ١٠ : ٤) .

لا شك أننا نتفق أن الناموس كشريعة طقسية اكتمل فى المسيح ، وكشريعة أخلاقية أكملها ايضاً .

ما هو معنى الحرية ؟

ما هى الحرية المسيحية ؟ هل هى انطلاقة الانسان بلا قيود ؟ وما الفرق بين الانسان تحت سلطان الخطية أو تحت سلطان المسيح ؟ ويتساءل البعض : أين الحرية إن كان الله قد خطط حياتنا وأخضعنا لنظام معين ؟

يوضح الكتاب المقدس أن الانسان ــ أصلا ــ مبيع تحت الخطية . فللخطية السيادة الكاملة المطلقة عليه . والانسان تحت هذه السيادة لا حرية له قط . إنه يتصرف فى إطارها ، ويخضع لسيادتها .

لكن المؤمن ، وقد خرج من سيادة الخطية ، صار حرا . وإن كان قد تحرر من الخطية فبالحقيقة ــ أى بدون زيف ــ صار حرا (يوحنا ٨ : ٣٦) . معنى ذلك أن الانسان تحت سيادة نعمة الله قد صارت له الحرية للتصرف والاختيار . له أن يختار ما يريد . لا شك أن ميوله هى لطاعة السيد ، ولاختيار الصواب . لكنه وهو يختار أسلوب سلوكه يختاره برضاه . ولكنه أيضا قد يخطىء . والخطأ هنا نتيجة حريته . إنه حر فى تصرفه .

فالانسان فى سيادة الخطية ، يتصرف الخطأ . حتى أعمال بره تحت سلطان الخطية رديئة . لكنه تحت ظل نعمة الله ، فهو « حر » بحق ، يختار « بحق » ما يريد أن يعمله . ولعل هذا هو السبب فى

أن المؤمن يصارع دائما مغريات الخطية والشر ، ويحاول أن ينتصر عليها .

ولا شك أن الله ، فى مخططه السماوى ، قد وضع خطة لكل انسان أن يسلكها . فالانسان تحت سيادة الخطية ، لا يقبلها ، بل يرفضها .

أما الانسان تحت سيادة نعمة الله ، فهو يحاول أن يختار الأفضل بالنسبة له . ولا شك أن خطة الله له هى الأفضل . فهو يحاول جهده — يوما بعد يوم — أن يسير فيها بارادته . وقد يخطىء تارة ويصيب مرات أخرى . لكنه يختارها بارادته .

يخطىء من يظن أن الحرية المسيحية هى أن نترك الانسان بلا قيود فلا حرية بلا قيود . ويخطىء من يظن أن الحرية المسيحية هى أن يترك اللّه الانسان يتصرف كما يشاء . فالحرية هنا لا تصبح « مسيحية » . وجدير بالذكر ، أنه لا توجد حرية « مطلقة » بلا قيود تحت الشمس .

مبادىء الحرية المسيحية

لكى نتعمق فى فهم الحرية المسيحية علينا أن ندرس المبادىء المسيحية العامة لهذه الحرية :

أولا — الحرية المسيحية لا تتفق مع القانونية أو وضع قوانين وشروط للحلال والحرام

« وأما الآن فقد تحررنا من الناموس . اذ مات الذى كنا ممسكين

فيه . حتى نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف » (رومية ٧ : ٦) .
لهذا قال يسوع : « إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات » .

الواقع أن يسوع كان يريد أن يميز بين شيئين :

- الوصايا الصريحة .
- تفسير الكتبة (أو قانون الكتبة) .

فقد كان للكتبة قانون شفوى تفسيرى للشريعة . قسموا الشريعة إلى ٦٣ فصلا ، ثم طبعوها فى القرن الثالث الميلادى وسموها « المشنا » أو تلمود أورشليم . هذا الذى قال عنه يسوع فى الموعظة على الجبل « سمعتم » ، إنه لم يقصد الوصايا المكتوبة الصريحة التى جاءت فى الشريعة ، بل قصد تفسير الكتبة الذى كان تفسيرا شفويا حتى أيام السيد المسيح . فإن يسوع لم يقصد أن يبطل الشريعة الأخلاقية القديمة ، وإنما أراد أن يكملها بطريق وبمعنى غير ما يفسره الكتبة .

ولكى نفهم تفسير الكتبة للشريعة ، هيا ندرس معا ــ مثلا ــ بعض ما جاء فى شريعة يوم السبت . قالوا : إنه يوم راحة لا يجوز فيه عمل . فمن الأعمال التى تحدثوا عنها أعمال حمل الأشياء ، وفى هذا قالوا :

- من يحمل خمرا أو لبنا يكفى بلعة واحدة شر .
- من يحمل عسلا فى حجم ما يكفى ليوضع على جرح شر .
- من يحمل ماء فى حجم ما يغسل به عينا واحدة شر .
- من يحمل حبرا يكفى لكتابة حرفين شر .

ومن الأعمال التى تحدثوا عنها « الشفاء يوم السبت » قالوا :

ـــ إنه عموما شر .

ـــ علاج الخطورة للأنف والأذن والحنجرة ليس شراً .

إن المسيح لم يقصد قط أن ينقض شريعة موسى ، وإنما أراد أن يكملها . لكنه أراد أن ينقض شريعة الكتبة الحرفية ، وفيها قال عنهم : « باطلا يعبدوننى . وهم يعلّمون تعاليم هى وصايا الناس » (متى ١٥ : ٩) ، وتساءل مرة : « هل يحل فى السبت فعل الخير أم فعل الشر ؟ تخليص نفس أو اهلاكها ؟ (لوقا ٦ : ٩) وشرح السيد المسيح طبيعة هذه الوصايا ، بأنهم « يحزمون أحمالا ثقيلة . عسرة الحمل . ويضعونها على أكتاف الناس . وهم لا يريدون أن يحركوها باصبعهم » (متى ٢٣ : ٤) ، « إن الحرف يقتل ولكن الروح يحيى » (كورنثوس الثانية ٣ : ٦) ، « فإنه يلزم أن نعبده بجدة الروح لا بعتق الحرف » (رومية ٧ : ٦) .

هل وضعنا نحن شرائع حرفية كهذه ؟ هل حددنا يوم الأحد مثلا بالساعة ؟ هل وضعنا قواعد حرفية للشر وللبر ؟ إننا مرات كثيرة نسأل : « ماذا حلال وماذا حرام » ؟ فهل نريدها شريعة حرفية ؟ هل تشعر بأنك تحتاج لرخصة من الكنيسة (أو من أحد المؤمنين) تصرح لك « بالحلال » و « الحرام » ؟ .

لقد توسع يسوع فى الحديث عن « الحرفية » بأنها لا تتفق مع المبادىء المسيحية ، وفى هذا نتأمل فى أقواله عن يوم السبت ـــ يوم الراحة : « جاع التلاميذ وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون .

فالفريسيون لما نظروا قالوا له : هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت » (متى١٢ : ١ ، ٢) ، وهنا حدَّثهم يسوع مذكراً إياهم بما فعله داود الملك حين جاع هو والذين معه ، « كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط » (متى ١٢ : ٣ ، ٤) . ثم قال : « أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء » (متى ١٢ : ٦) ، ثم أضاف : « أبن الانسان هو رب السبت أيضا » (متى ١٢ : ٨) .

لقد أخطأ البعض عندما سموا الموعظة على الجبل « بقوانين » ملكوت السموات . فإن ملكوت السموات لا قوانين له ، وإنما له مبادىء عامة وضعها المسيح لننهج عليها ، ونطبقها على المواقف التى تواجهنا . إن القانون اليهودى لم يعط قوة للاوى ولا للكاهن لتخليص السامرى (لوقا ١ : ٢٩ — ٣٧) .

إن نقطة الارتكاز هى أن الشريعة خلقت للإنسان ولم يخلق الإنسان للشريعة . فلقد خلق السبت للإنسان ولم يخلق الإنسان للسبت . لهذا فان الشريعة وضعت لخدمة الانسان ومعونته . فإذ فشلت القوانين ، قدم يسوع المبادىء العامة التى يريدنا أن ننّبر عليها فى سلوكنا فى حياتنا الشخصية .

إن المشكلة الحقيقية التى نواجهها ، هى أننا لو وضعنا « قوانين حرفية » للسلوك قتلنا روح الفكر ورغبة الاختيار ، وحوَّلنا « الايمان » الفعال إلى « حرفية مميتة » . وهناك خطر آخر ، وهو لو

أننا أبعدنا السلوك المسيحى عن حرفيات القوانين ، واجهنا مشكلة التيهان فى خضم الحياة بلا ضوابط . لنأخذ مثلا لذلك : أننا نقول إن العهد الجديد لا يحدد العشور بالأسلوب الحرفى الذى كان للعهد القديم ، بل إن الانسان — فى مفهوم العهد الجديد — وكيل أمام الله ، ويلزم له أن يكون وكيلا أمينا . فهو — كوكيل أمين — يوزع ما أعطاه الله على حياته اليومية ، جزء للتعليم ، وجزء للملبس ، وجزء للطعام ، وجزء للترفيه ، وجزء للخدمة الدينية وعمل الله . ولو تركنا الباب مفتوحا على مصراعيه ، لوجدنا من المؤمنين من يعطى الباب الأخير (الخدمة الدينية عمل الله) ٥٪ من إيراده ، أو أقل . والبعض الآخر قد يدفع ١٠٪من ايراده أو أكثر . لكننا لو حددنا ١٠٪ كالحد الأدنى ، فإن من ينجح فى الدفع يشعر بأنه « تقى وقديس » لأنه أوفى المطاليب ، ومن لا يدفعها يشعر بأنه « نجس وتعس » لأنه لم يوف المطاليب . لابد للمؤمن ، أن يكون مسئولاً ، يختار ، ويوزع بأمانة . فإن « حرية » المؤمن ، لا تدفعه للإهمال ، بل لحمل المسئولية أمام الله .

والموقف الحقيقى الذى ينبغى أن يقفه الفرد أمام الله ، هو موقف النمو ... فإن كان اليوم قد تمكن من عمل كذا وكذا ، فهو ينمو فى النعمة يوما بعد يوم ، حتى يصل إلى « القامة » المطلوبة فى المسيح .

فالحرفية لها مساوىء عديدة .. وتحتاج أيضاً للاحتراس من أخطار البعد عن الحرفية أيضا .

ثانيا ــ الحرية المسيحية تهتم بالأعماق أكثر من المظاهر :

لودرسنا لماذا تحدث المسيح عن الصلاة والصدقة والصوم فى الموعظة على الجبل (متى ٦) لوجدنا أنه لم يقصد أن يتحدث عنها كموضوعات ، لأنها معروفة . وإنما أراد أن يعالج من يصنعون الصدقة قدام الناس (متى ٦ : ١) ، ومن يصلون قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع (متى ٦ : ٥) ، ومن يصومون عابسين ليظهروا صائمين (متى ٦ : ١٦) ، فان بر الكتبة والفريسيين اعتمد على المظاهر أكثر من الجوهر ، ويظهر ذلك فى الأمور الآتية :

(أ) أعلنوا المظاهر الدينية :

« كل أعمالهم يعملونها لكى ينظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم » (متى ٢٣ : ٥) ، وكانوا « يحبون المتكأ الأول . فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس : سيدى سيدى » (متى ٢٣ : ٦ ، ٧) . متى مارس الانسان الفضيلة ، لكى يظهر تقياً أمام الناس ، ماكانت فضيلته فضيلة .

(ب) بالغوا فى الأعمال الصالحة دون إيمان قلبى :

فقد طالبت الشريعة بصوم يوم الأحد فى الأسبوع ، فصاموا يومين ، طالبت الشريعة بعشور الغلال والبهائم فأضافوا إليها النعناع والشبت والكمون . لهذا قال لهم يسوع : « ويل لكم .. لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم » (متى ٢٣ : ١٤) ، وفى هذا تحدث عاموس النبى (٥ : ٢١ ــ ٢٣) :

« بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم . إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى ، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها . أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع » . بل إن عاموس عندما شاهد مظاهر التمسك الدينى السطحى دون ايمان قلب ، قال لهم : « هلم إلى بيت أيل ، واذنبوا إلى الجلجال واكثروا الذنوب ، وأحضروا كل صباح ذبائحكم وكل ثلاثة أيام عشوركم » (عاموس ٤ : ٤) . ففى هذه النبوات الساخرة أشار عاموس إلى أن عبادة الله فى الجلجال أو فى بيت أيل لا يقيم الله لها وزنا ما دامت مجرد مظاهر سطحية لا عمق لها فى نفس الانسان .

وقد واجه المسيح نفس المشكلات وتحدث عنها بصراحة . فقد وجه اللوم لأولئك الذين « يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل » (متى ٢٣ : ٢٤) وأولئك الذين يلومون الناس على القذى التافه الذى فى عيون الناس ، ولا يحسون بالخشبة التى فى عيونهم (متى ٧ : ١ — ٥) ، وكان أروع وصف وصفهم به يسوع ، عندما قال : « أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة ، وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا » (لوقا ١١ : ٣٩) .

لقد ظن اليهود أن الله يطالبهم بالممارسات الدينية فقط ، دون تطبيق مبادئها على سلوكهم وحياتهم الشخصية .

(حـ) استغلوا المظاهر الدينية ليحصلوا على مدح الناس

وفى هذا قال لهم يسوع « استوفوا أجرهم » . فإن رضى الله لم يكن له المكان الأول فى تفكيرهم . لذلك ضربوا بالأبواق أمامهم

ليوزعوا الصدقات فى الشوارع وعلى قارعة الطرق . ولنفس السبب وقف الفريسى يصلى فى نفسه أمام الهيكل ليراه الجميع (لوقا ١٨) . ولعل المسيح كان يهتم بأن يقول لهم إنهم استوفوا أجرهم .

وفى هذا أخطار عديدة ... دأب البعض على تحريم بعض المقدسات والأمور الطاهرة لدرجة أنهم يحرمون الأشياء البريئة ، علهم يحصلون على تقدير من يحيط بهم « إنهم قديسون » ، وبذلك تتحول حياة الإيمان عند أولئك كحرفيات سلوك محددة ، تدفعهم إلى غرور روحى رهيب يعرض كل حياتهم الروحية للإنهيار .

(د) استغلوا المظاهر الدينية لكى يخفوا وراءها مفاسد كثيرة

وقد كشف يسوع شيئاً من هذا فى قوله : « وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم . فإن الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك .. وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى ، فلا يكرم أباه أو أمه ، فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلا : « يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا . وباطلا يعبدوننى وهم يعلّمون تعاليم هى وصايا الناس » (متى ١٥ : ١ — ٩) ، وبذلك كشف يسوع أن البعض قدموا هبات وعطايا لله (قربان) ليس حبا للّه ، وإنما ليحرموا الورثة منها . فكم من أناس قدموا أملاكهم وقفا للكنيسة ، ليس حبا فى الكنيسة ، بل ليحرموا الورثة منها . لقد علل عاموس كيف أخفى الناس مفاسدهم وراء مظاهر البر . قال الفريسى : « هكذا قال الرب من أجل ذنوب

اسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه ، لأنهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين . الذين يتهممون تراب الأرض على رؤوس المساكين ، ويصدون سبيل البائسين ، ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنسوا اسم قدسى . ويتمددون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح ويشربون خمر المغرمين فى بيت آلهتهم » (عاموس ٢ : ٦ — ٨) ، فإن عاموس فى هذه السطور يوضح لنا خطايا ارتكبها الناس باسم التدين السطحى . فهو يصف الرشوة التى أعمت القضاء فحكموا على البرىء وأطلقوا سراح المذنب . لقد باعوا البار بالفضة ! ؟

وقد صرحت الشريعة للقاضى أن يحكم ببيع المدين لشخص آخر غير المداين إلى أن يسدد دينه ، ثم يطلق سراحه . وقد كانت مدة البيع خمس أو عشر سنوات ، وكان يشترط فيها أن الدين كبير لدرجة أنه يستحق بيع المدين ، ولهذا فان عاموس يدهش لأن القضاة حكموا ببيع المدين لأجل دين تافه ، قيمة « نعلين » . إن الحكم فى ظاهره يتفق مع الشريعة ، وفى مضمونه لا يتفق « باعوا البائس لأجل نعلين » .

وكم استخدم الأغنياء من حيل ليغتصبوا بها أرض الفقير ويستثمروها لمصلحتهم . فإنهم كانوا « يتهممون تراب الأرض على رؤوس المساكين ؟ ويصدون سبيل البائسين » بقسوة ووحشية دون رحمة .

ولعل عاموس يكشف لنا جانبا آخر فى قوله : « يتمددون على

ثياب مرهونة » (عاموس ٢ : ٨) ، فإن شريعة الرهن كانت تسمح للشخص بأن يأخذ مقابل الرهن ثوب المديون ، وفى نفس الوقت كانت الشريعة تلزمه بأن يعيد الثوب للمديون فى الليل لينام به ويدفأ ، ثم يستعيده فى الصباح ، ولكن المداين — فى مرات كثيرة — ولكى لايعيد الثوب إلى صاحبه ، كان يأخذ الثوب أمام الهيكل ، ويتمدد عليه ، بحجة أنه يضع الثوب أمام الله ، وبذلك يخدر ضميره لكى لا يعيد الثوب لصاحبه مساء .

كما أن عاموس كشف عيبا آخر ، من هذا النوع فى قوله : « يشربون خمر المغرَّمين » (عاموس ٢ : ٨) ، فان الغرامات والضرائب التى جمعوها من الشعب ، بدل أن يسلموها للدولة ، كانوا يشربون بها خمرا فى الهيكل أمام الله ، وبذلك كانوا يبررون موقفهم ! والسيد المسيح يعلن صراحة « اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما للّه للّه » .

لقد ظن الشعب بأن « الشريعة » هى آلهة ، وحاولوا تنفيذها حرفياً ، دون عمق . إنهم كانوا يقطعون علاقتهم بالله ، رغم أنهم كانوا ينفذون الشريعة بحرفيتها . ما قيمة مظاهر العبادة إن كانت تخفى وراءها أخطر المفاسد كالكبرياء والأنانية والمجادلة والاساءة إلى الآخرين واحتقارهم .. إلى غير ذلك . « فهل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب ؟ فالاستماع أفضل من الذبيحة والاصغاء أفضل من لحم الكباش » (صموئيل الأول ١٥ : ٢٢) . إن الخطية ليست هى عدم إتمام الفرائض ، الخطية هى قطع العلاقة بالله .

(هـ) وهناك خطايا لا تمسك ظاهريا

فخطايا الكبرياء والأنانية لا تمسك بوضوح كخطايا القتل والسرقة . وهى تتصل بالنية الداخلية أكثر من العمل الظاهرى ، وهى خطايا روحية خطيرة ، وفى هذا يقول السيد المسيح : « ليس كل من يقول لى يارب . يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل من يفعل إرادة أبى الذى فى السموات » (متى ٧ : ٢١) .

ويتحدث يسوع عن الرياء كخطية مخيفة فى قوله : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . ولعلة تطيلون صلواتكم .. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون ، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان » .

الزينة الخارجية

ودعنا نأخذ مثلا آخر . وسأضع أمامكم هذه الآيات :

— « لا تكن زينتكم الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب » (بطرس الأولى ٣ : ٣) .

— « فإنه هكذا كانت قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله يزين أنفسهن » (بطرس الأولى ٣ : ٥) .

— « وحدث عندما فرغت الجمال من الشرب ، أن الرجل أخذ خزامة ذهب وزنها نصف شاقل وسوارين على يديها وزنها عشرة شواقل ذهب » (تكوين ٢٤ : ٢٢) .

ـــ « لما سمع الشعب هذا الكلام ، ناحوا ولم يضع أحد زينته عليه » (خروج ٣٣ : ٣ ، ٤) .

ـــ « فاتكلت على جمالك وأخذت أمتعة زينتك من ذهبى ومن فضتى التى أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزينت بها » (حزقيال ١٦ : ١٥ ـــ ١٧) .

ـــ « من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن .. ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة . والحلق والأساور والبراقع .. » (إشعياء ٣ : ١٦-٢٤) .

هل ترى معى فى هذه الآيات :

١ ـــ الزينة الأفضل هى زينة القلب .
٢ ـــ لم تمنع الزينة عن المرأة فى العهدين القديم والجديد .
٣ ـــ منعت الزينة فى حالة ارتكاب الشعب للشر كرمز لحالة الشر التى كان الانسان عليها .
٤ ـــ خطر الزينة هى رغبة الاغراء والاغواء .

هذه مجرد أمثلة ، فهل نطبق الأمور المختلفة كما طبقناها هنا على كلمة الله لنرى متى تكون صوابا ومتى تكون شرا ؟

ثالثا ـــ الحرية المسيحية تميز بين ما هو شر فى حد ذاته وما يمكن استخدامه فى الخير والشر

إن المال والأملاك .. الاذاعة والسينما ، يمكن أن تكون خيرا أو

شرا . لأن الأمر يتوقف على مدى مقدرتك على الاختيار بين الخير والشر ، كما يتوقف على الذين يضعون البرامج واختيارهم لها . قال البعض إنهم كانوا يستريحون جدا لو أن يسوع وضع لهم فى الموعظة على الجبل قائمة لما يجوز عمله . لكن المسيحية تعطينا إهتماما أكبر بالتدريب على « المقدرة على الاختيار » ، وبذلك نختار ما يتفق مع مبادىء السيد المسيح ، ونرفض ما لا يتفق ، إن أهم عنصر فى تربية أبنائنا هو أن نربيهم على هذه المقدرة ، وبذلك يمكنهم التحكم فيما يريدون وفيما لا يريدون .

إن تطور العصر سيرغم الجيل المقبل على مشاهدة التليفزيون . إن تحريم التليفزيون لا يجدى شيئا بالنظر للمستقبل ، إن الأطفال يتحدثون عن مشاهداتهم التليفزيونية فى المدارس ، وحرمان بعض الأطفال منه لا ينفعهم ، إن الحل هو تدريبهم بحكمة وحرص على اختيار ما يشاهدونه ، وما لا يشاهدونه ، وهذا يتم بالتفاهم والمناقشة المقنعة .

رابعا ــ الحرية المسيحية تعطى كل فرد حق عمل ما يستريح ضميره المسيحى الشخصى عليه :

قد تختلف الضمائر المسيحية فى أحكامها ، وليس للبشر أن يحكموا على بعضهم البعض . يحلل بولس الرسول هذا الموقف فى قوله : «واحد يؤمن أن يأكل كل شىء وأما الضعيف فيأكل بقولا .. واحد يعتبر يوما دون يوم وآخر يعتبر كل يوم . فليتيقن كل واحد فى عقله . الذى يهتم باليوم فللرب يهتم . والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم . والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله . والذى لا يأكل

فللرب لا يأكل ويشكر الله» (رومية ١٤ : ٢ ، ٥ ، ٦) .

وهنا يعالج الرسول بولس قضيتين فكريتين :

١ ــ الاهتمام بيوم الرب ، وكيفية الإهتمام به ، فكل واحد يختلف عن الآخر فى كيفية تقديس يوم الرب .

٢ ــ الأكل مما ذبح للأوثان ، ولهذا قصة :

كان اللحم يذبح فى الملحمة (مكان بيع اللحوم) ، وكان اللحم يذبح لإله وثنى . لنأخذ مثلا : الإلهة ديانا . فاللحم المذبوح للإلهة ديانا مقدس لها ، ومن يشترى اللحم يشترى من وليمة الإلهة ديانا . وعندما يجلسون للطعام تصبح المائدة مائدة الإلهة ديانا . وقبل تناول الطعام يرفعون كئوس الخمر ويشربون نخب الإلهة ديانا ثم يأكلون ، لهذا فإن أكل اللحم أيام بولس كان أقرب إلى عبادة الوثن منه إلى مجرد تناول طعام عادى .

إن بولس لا يرى عيبا فى الأكل من هذا اللحم ، فهو لا يؤمن أن ديانا الهة . لذلك قال : « كل ما يباع فى الملحمة كلوه غير فاحصين عن شىء من أجل الضمير » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٥) ، وشرح السبب فى ذلك بقوله : « فإن كنت أنا أتناول بشكر ، فلماذا يفترى على لأجل ما أشكر عليه » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٣٠) . لهذا فإن كل إنسان يجب أن يكون مكتفيا ومقتنعا بفكرته الشخصية وبرأيه أمام الله أنه على صواب . إن ما يمليه عليك ضميرك هو سيد الأحكام « ألك ايمان ؟ فليكن لك بنفسك أمام

الله . طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه . وأما الذى يرتاب فإن أكل يدان ، لأن ذلك ليس من الايمان وكل ما ليس من الايمان فهو خطية » (رومية ١٤ : ٢٢ ، ٢٣) .

إن الحرية المسيحية تعطى المؤمن حق الاختيار ، أمام ضميره المسيحى .

وهنا يتساءل أحدهم قائلا : « لو تركنا كل واحد لضميره ، لفعل الشر ، وقال إن ضميره مستريح على ذلك ؟ » كلا ! إننى لا أخشى أن أضع مسئولية كل فرد على ضميره المسيحى الشخصى . إن مشكلتنا هى أن المؤمن يريد أن يأخذ « رخصة » من آخرين أن هذا حلال وذاك حرام ، ثم يتصرف بعد ذلك فى ضوء ما يسمع . فلو كان تصرفه خطأ وضع اللوم على من أرشده . هذا لا يتفق اطلاقا مع كلمة الله . إن ضميرك مسئول عن كل تصرفاتك أمام الله . ومن يخدع ضميره ، أو يخدره ، سوف يقاسى أشد الآلام عندما يستيقظ ضميره . إن اعطاء السلطان للضمير الشخصى لهو أخطر سلطان فى حياة الفرد .

لهذا نحتاج لأن ندرب أولادنا من الصغر ، لكى يعرفوا كيف يختارون بين الحسن والردىء . فمتى كبروا ، كانوا يعرفون أن يمارسوها بروح المحبة والايمان .

خامسا ــ الحرية المسيحية لا تسمح لأحد بأن يحكم على غيره

دعنا نعود مرة أخرى إلى قصة الأكل مما ذبح للأوثان . لقد أحس

بولس بأن البعض يتعثرون من هذا اللحم . وظهرت جماعتان من المؤمنين ، جماعة تأكل منه وجماعة ترفض الأكل . وخشى بولس أن مجرد وجود هاتين الجماعتين قد يعيق الخدمة والشهادة . لهذا سارع بالقول : « فلا يزدر من يأكل بمن لا يأكل . ولا يدن من لا يأكل من يأكل لأن الله قبله . من أنت يامن تدين عبد غيرك ؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط ولكنه سيثبت الآن الله قادر أن يثبته . وأما أنت فلماذا تدين أخاك ؟ أو أنت أيضا لماذا تزدرى بأخيك ؟ لأننا جميعا سوف نقف أمام كرسى المسيح » (رومية ١٤ : ٣ ، ٤ ، ١٠) .

إن القانونية والحرفية تساعدان على التفتيش على عيوب الغير وأخطائهم . ولكن المسيح يقول : « لا تدينوا لكى لا تدانوا » (متى ٧ : ١) . إن مشكلة كنائسنا وهيئآتنا أننا نحكم على بعضنا البعض ، بينما لا يجوز لنا أن نحكم على أحد قبل الوقت . « من هو ضعيف فى الايمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار » (رومية ١٤ : ١) . بل أن بولس نفسه ، وهو لا يمتنع عن الأكل مما ذبح للأصنام يقول : « لأنه لماذا يحكم فى حريتى من ضمير آخر ؟ » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٩) ، ولما ثار الفريسيون على التلاميذ بسبب عدم غسيل أيديهم قبل الطعام قال لهم يسوع : « الأكل بأيدى غير مغسولة لا ينجس الانسان » (متى ١٥ : ٢٠) .

ولعل السبب من وراء ذلك أنك عندما تحكم على غيرك لا ترى عيوبك الشخصية . بل قد تشعر بكبرياء على أخيك . فما أسهل أن نرى عيوب الغير وننتقدها قبل أن نرى عيوب أنفسنا ، وفى هذا قال

يسوع : « كيف تقول لأخيك دعنى أخرج القذى من عينك .. يامرائى أخرج أولا الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك » (متى ٧ : ٤ ، ٥) .

لا يجوز لنا أن نحكم على غيرنا فالحكم لله وحده . لم يحكم السيد المسيح على الذين صلبوه بل طلب لهم الرحمة والمغفرة .

سادسا ــ الحرية المسيحية حرية منظمة لها حدود

إنها حرية أعضاء الجسد التى تتحرك فى حدود الجسد . حرية القطار الذى يتحرك فى حدود القضبان . حرية الأغصان التى تتمايل ولكنها دون أن تبتعد عن الكرمة .

فما هى الحرية المسيحية ؟

١ ــ لقد حدد الكتاب المقدس أعمال الظلمة ووضحها ، وأعطانا نماذج لها .

لهذا لا يجوز لنا أن نستغل الحرية فرصة للجسد (غلاطية ٥ : ١٣) . « كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبيد الله » (بطرس الأولى ٢ : ١٦) . إن حريتنا هى حرية منتظمة فى دائرة الروح القدس والحكم الالهى واختبار الضمير النفسى .

وأعمال الجسد ظاهرة ، التى هى : « زنى عهارة نجاسة دعارة ، عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة ، حسد قتل سكر بطر ، وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا ، إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت

الله » (غلاطية ٥ : ١٩ ــ ٢١) .

لا يجوز لنا أن نختلف فيما سجله الوحى كعمل شرير ، ولكننا قد نختلف فى تحليل أو تحريم أشياء فرعية .

(ب) مراعاة عدم إعثار الضعفاء

يحدثنا بولس فى رسالته الأولى الى كورنثوس (٦ : ١٢) : « كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق . كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط على شىء » . وفى (١٠ : ٢٣) يقول : « كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ، كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء تبنى » . فإنه ليس فيما خلقه الله ما ليس طاهراً فى ذاته . العالم مقدس ، وجنة عدن مقدسة ، ولكن الخطية دخيلة عليهما .

إن مهمة أكل اللحم كانت بالنسبة للبعض مشاركة خطيرة فى عبادة الأصنام ، وبالنسبة للبعض الآخر ــ الذى ضميرهم قوى ــ شيئا غير معثر . وفى هذا قال بولس : « إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحما إلى الأبد لئلا أعثر أخى » (كورنثوس الأولى ٨ : ١٣) . فإن صاحب الضمير القوى الذى لا يعثر يجب أن يحترس : « لكن أنظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء » (كورنثوس الأولى ٨ : ٩) .

فإن الذى يتحكم فى مبادئنا هو : رغبة البناء ، وإرادة المحبة . فلكل مؤمن رغبة فى أن يعمل ما يبنى غيره على الايمان الأقدس .

ودافع المحبة للأخ الضعيف يجعله يمتنع عما هو برىء وطاهر لضميره الشخصى حتى لا يتعثر غيره . « ولكن ليس العلم فى الجميع . بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما ذبح لوثن . فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس » (كورنثوس الأولى ٨ : ٧) . هؤلاء ينبغى أن نراعىَ عدم إعثارهم .

(حـ) لا يجوز أن أكذب وأخدع غيرى خوفا من عثرته

قال شخص فى عظة : « التليفزيون شر » . سأله صديق وهو خارج بعد العظة : « لماذا تقول إن التليفزيون شر ، رغم أنك عندك تليفزيون فى منزلك ؟ » قال الواعظ : « خفت عثرة الآخرين » ! لا شك أن الكذب ، عثرة أشر !

سابعا ــ الحرية المسيحية تسمح لك باختيار سبيل التقشف أو عدمه

تحدث يسوع مقارنا نفسه بيوحنا المعمدان قال : « لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان . جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر . محب للعشارين والخطاة . والحكمة تبررت من جميع بنيها » (لو ٧ : ٣٣ ــ ٣٥) .

من هذا نرى أن يوحنا المعمدان سار على نظام النذير فى العهد القديم (راجع سفر العدد ٦) . وكانت شريعته التقشف ، والحرمان من المتعة . والانفصال عن المجتمع . إلا أن يسوع اندمج فى المجتمعات . واختلط بالعشارين والخطاة . حضر حفلات العرس ، وولائم الفريسيين ، وأكل معهم وشرب .

الطريقان يتفقان مع المسيحية ، وليس من حق المتقشف أن يدين من لا يحرم نفسه من المتعة ، كما أنه ليس من حق الأخير أن يزدرى بالمتقشف .

ثامنا ــ الحرية المسيحية تنادى بالتمسك ببر المسيح وليس بالبر الذاتى

قال بولس : « ليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بإيمان المسيح البر الذى من الله بالايمان » (فيلبى ٣ : ٩) . إن مقياس الحياة المسيحية الصادقة ، والسلوك المسيحى السليم ، لا يعتمد على مجرد قوانين وضعية إن عملتها صرت بارا . إن الايمان المسيحى يعتمد على سلوك صحيح سليم . بل أنك فى مرات كثيرة لا تقدر أن تحكم على سلوك معين أنه صواب أو أنه خطأ سوى عند مواجهة الأمر .

إن مبادىء المسيحية ليست هى التمييز بين ما هو صواب ، وما ليس صوابا بل هى :

التمييز بين الخير والشر
أو التمييز بين الخير والخير
أو التمييز بين الشر والشر

فإنك أحيانا تواجه خيرين ، وتحتار ماذا تختار منهما . وكذلك أحيانا تواجه شرين ، ولا تدرى ماذا يكون أهون الشرين لتختاره .

شخص مؤمن فى باخرة تكاد تغرق . وفى الباخرة ثلاثين شخصا . لكن قارب النجاة لا يسع سوى عشرين شخصا . فماذا يختار ؟ هل يقف مع العشرة ويموت بإرادته ، ويترك العشرين

يخلصون ؟ أم ينجو بنفسه فى القارب ولا يكترث ؟ وإن كان مكانه فى مؤخرة الصف ، وهو ليس ضمن العشرين ، فهل يثبت فى مكانه ؟ أم ينزل إلى قارب النجاة رغم أنه لا يتسع لأكثر من عشرين . فقد يغرق أيضا ؟ !

وما رأيك فى بواب مؤمن . جاءت أمامه مجموعة ثائرة من المتظاهرين الذين يريدون تحطيم كل شيء ، وسألوه عن أهل البيت : هل هم موجودون أم لا ؟ إن قال إنهم موجودون اشترك فى القتل أو ساعد الثوار على قتلهم ، وإن أنكر يكون قد كذب . فماذا يختار ؟

لا شك أن الوصول إلى إجابة حاسمة فى مثل هذه الحالات ، يعاوننا الله ــ على الوصول إليها فى وقتها . لكننا يجب أن نكون متفتحين لمثل هذه الأحوال .

لا يظن أحد أننا بهذا نبرر الخطأ ! فقد يسأل شخص : هل الكذب فى المحكمة ــ لكى أنقذ إنسانا ــ صواب ؟ كيف نبرر الكذب ؟ وكيف نتهرب من إدانة المخطيء ؟ أليست مسئوليتنا أن «ندين» الخطأ ؟ إن تبرئة المذنب شر ، وبالتالى ، الكذب شر .

وما رأيك فى تلميذ يغش فى الامتحان لينجح ! إنه يريد أن يصل إلى النجاح على أكتاف معلومات مسروقة ، ليست له ، وليست فى حوزته . فالغش هنا شر ، والنجاح على أساس الغش شر .

إن الأهداف متى كانت أنانية ، تتجه لتحقيق مصالح ذاتية ، أو

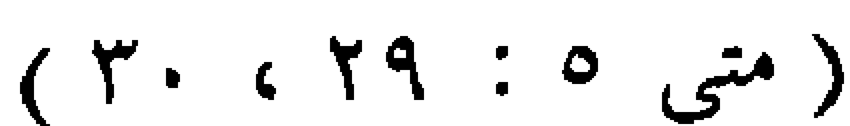
متى كانت تبرر الخطأ ، فهى شر . إن مواجهة مواقف « شر » و « شر » ، عندما يلتزم الانسان بالاختيار بينهما ، هى مواجهة المواقف التى يستحيل الخروج منها . وقد اخترت مثل « الباخرة التى تغرق » أساسا لهذا البحث . لا يجوز أن تكون هذه الفكرة مبررا لارتكاب الخطأ ، بل إنها سراج ينير سبيل الانسان عندما تستحيل إمكانيات الحياة أمامه ، وتنحصر فى إطار محدود ، فماذا يعمل ؟

الفصل السابع

مفهوم العثرة



« فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وإلقها عنك . فانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وإلقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » .



(متى ٥ : ٢٩ ، ٣٠)

« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق . كل الأشياء تحل لى لكن لا يتسلط علىّ شىء » .

(كورنثوس الأولى ٦ : ١٢)

عثر معناها سقط وزل . وقد جاءت الكلمة هنا فى الأصل اليونانى بمعنى المصيدة التى توضع لتقع الفريسة فيها . لهذا فإن العثرة هنا تعبر عن كل شيء يقود الانسان للهلاك دون وعى منه ، ومن هذا نرى أن العثرة ترتبط بالأمور الآتية :

١ — شيء مخفى كالمصيدة .

٢ — شيء مغرى كالطعم الذى يوضع داخل المصيدة .

فالأشياء المختفية تأتينا عن طريق الأفكار والخيالات فنسقط ونحن لا ندرى . ولكن لابد أن تكون مغرية تدفعنا للسقوط .

ونحن ندرس هنا العثرات محاولين أن نبسط معانيها فى الكتاب المقدس ومجالات تطبيقها على حياتنا الشخصية .

العثرات التى لابد منها

هناك عثرات تعتبر من صميم الإيمان المسيحى ، لا يمكن أن نتفاداها بل أننا لا نحاول تفاديها ، وهى تتلخص فى عثرتين :

١ — **عثرة الصليب** : عندما تحدث يسوع مع التلاميذ عن صليبه لم يفهموا معنى كلامه ، وتذمروا « فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا » فقال لهم : « أهذا يعثركم ؟ (يوحنا ٦ : ٦١) » . بل أن بولس يقول « نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة » (كورنثوس الأولى ١ : ٢٣) » .

فالصليب — حتى الآن — عائق كبير فى سبيل إقبال الكثيرين للمسيحية . وفيه يعثر الكثيرون ، لكن الصليب هو قمة رسالة

المسيحية . ففيه الخلاص والمصالحة بين البشر والله الآب . سيحيا الصليب دواما ، وعثرة الصليب هى سبب خلاص البشرية الهالكة .

٢ ــ يسوع نفسه عثرة : تعثر اليهود من شخص يسوع نفسه . فإن مجرد معرفة يسوع كابن لنجار ، وإقامته كطفل وكصبى فى الناصرة كان معثرة للكثيرين . هل يمكن أن إبن النجار يكون إبن الله ؟ إنه لم يأت من نسل الكهنوت أو النبوة ، ولكنه جاء من الناصرة مركز الشر والفساد فى تلك الأيام « فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته » .

كما أن ميلاد السيد المسيح من عذراء أثار سخط الأعداء ، فلم ينظروا إليها النظرة المباركة ، بل أساءوا فهمها ودعوه رئيس الشياطين .

وحتى اليوم يعثر الكثيرون بفكرة ميلاد « الله » فى « جسد » . كيف ؟ هل يحيا الله كإنسان ؟ فهذا غير معقول فى نظرهم . بل أن حقيقة المسيح كابن الله الحى تعيق الكثيرين عن الايمان الحقيقى الصادق به .

ولكن هذا هو أساس الخلاص العجيب للبشرية جمعاء ، قال عنه بولس : « كما هو مكتوب ، ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخزى (رومية ٩ : ٣٣) » . وفعلا لم يقبله اليهود . فقد جاء يسوع « إلى خاصته وخاصته لم تقبله ، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه » (يوحنا ١ : ١١ ، ١٢) . وخاصته الأولى

تعنى من الأصل اليونانى « صنعة يديه » ، أما خاصته الثانية فتعنى اليهود . وبذلك يمكننا ترجمتها : « إلى كل البشرية جاء ، أما خاصته اليهود فلم يقبلوه » . عثر به اليهود ورفضوه . ويرى الرسول بولس الفائدة الكبرى من وراء هذه العثرة ، فقد صار الخلاص للأمم . « فأقول ، ألعلهم عثروا لكى يسقطوا ، حاشا . بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم » (رومية ١١ : ١١) . وفى هذا قال يسوع : « طوبى لمن لا يعثر فى » (متى ١١ : ٦) .

عثرات الخطية

ثم نتقدم هنا لندرس عثرة إسقاط الانسان فى الخطية . وفى سبيل ذلك ، ندرس مصدر العثرة الأصلى ثم أنواع العثرات ، ثم نقدم تحليلا دقيقا لمفهوم العثرة فى العهد الجديد .

أولا — مصدر العثرة الأصلى

عثرة الخطية وشهوات النفس تنبع من داخل الانسان . يقول ارميا النبى (٥٠ : ٣٢) : « فيعثر الباغى ويسقط ولا يكون له من يقيمه » ويقول إشعياء (٣ : ٨) : « لأن أورشليم عثرت ، ويهوذا سقطت ، لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عين مجده » . ودعا هوشع الشعب قائلا : « ارجع إلى الرب الهك ، لأنك قد تعثرت بإثمك » (١٤ : ١) . ويصف كاتب الأمثال طريق الشرير (٤ : ١٩) : « أما طريق الأشرار فكالظلام لا يعلمون ما يعثرون به » وقال يسوع : « أليست ساعات النهار اثنتى عشر ؟ إن كان أحد

يمشي في النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم » (يوحنا ١١ : ٩) .

وقال يسوع : « فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وإلقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك — ولا يلقى جسدك كله في جهنم . وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك ، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يذهب جسدك كله إلى جهنم » (متى ٥ : ٢٩ ، ٣٠ راجع متى ١٨ : ٨ ومرقس ٩ : ٤٣) .

وفي هذه الأقوال اختار يسوع العين اليمنى واليد اليمنى والرجل اليمنى . ولعله أراد أن يتحدث عن الأعضاء الواضحة للعيان حيث أنها قد تعثر الانسان بسهولة ، أو قصد الأعضاء الأكثر استعمالا . وأضاف يعقوب الرسول إلى هذه عثرة اللسان (٣ : ٢) « لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا . إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضا » .

ليس معنى هذا أن الجسد شرير ، ولكن الجسد معرض للخطأ . لقد خلق الله العين لكي تساعد الانسان على عمل الخير . لكن العين هي التي دفعت حواء إلى الخطية عندما رأت الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة جيدة للنظر . فأخذت وأكلت وأعطت رجلها أيضا فأكل » .

وكذلك لوط ، نظر ، ثم اختار لنفسه الأرض الشريرة . وهكذا نظر داود فارتكب خطيته الشنيعة المعروفة . ويصف يسوع موقف

أعضاء الجسد فى قوله : « إن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما ، فان كان النور الذى فيك ظلاما ، فالظلام كم يكون (مت ٦ : ٢٣) » . فان المسيح يرى أن العين هى نور الانسان ، وهى سراج الجسد . إن الجسد يمكنه أن يكون طاهرا أو شريرا كما تريد أنت له .

يستخدم الكتاب المقدس أعضاء الجسد للإشارة إلى الحواس والعواطف والأخطأ . فمثلا : يستخدم « القلب » إشارة لحياة الانسان كلها . ويستخدم كلمة « الأحشاء » للتعبير عن مشاعر الحب والعواطف ويستخدم العين للإشارة إلى الشهوة الجنسية والجسد ، وهكذا .

والواقع أن هناك صلة كاملة بين العين والقلب . استمع إلى بطرس وهو يكتب رسالته الثانية (٢ : ١٤) « لهم عيون مملوءة فسقا ، لا تكف عن الخطية .. لهم قلب متدرب على الطمع ، أولاد اللعنة » ويسوع يعلم أن أساس الشر من القلب وليس من الأعضاء . وإنما يريد أن يوضح أن السلوك السليم وحياة البر أهم من كل شيء آخر . فهو لم يوص بقطع العضو حرفيا ، بل أوصى بأنه من الأفضل أن تنكر ذاتك وتنكر متعتك وتضايق نفسك حتى تسلك السلوك الحميد . إن أحسست بأن هذا السلوك يعذبك أو يتعبك فهذا العذاب وقتى فى سبيل الخلاص الأبدى .

إقطع كل ما يعطل علاقتك السليمة بالله : الكتاب الفاسد ، الصديق المعثر ، المال ، وغير ذلك .

كلمة « عثرة » كلمة تائهة تستخدم فى شتى المعانى . والأسئلة تتردد مع المعانى : شاب يطيل شعره فيقولون انه لا يجوز له أن يخدم المسيح لأنه معثر . شخص يشاهد التليفزيون ، ومتى دخل إليه ضيوف يطفئه ، حتى لا يعثرون . فتاة مرحة ، تضحك وتمرح وتندمج مع المجتمع ، يقولون عنها أنها غير مؤمنة ، معثرة للجميع . فتاة أخرى تستخدم المساحيق يقولون أنها معثرة ، وإن الدافع للمساحيق دافع شرير . شخص يهوى الرياضة البدنية ، ويدخل المباريات ، يقولون عنه أن اهتماماته أرضية ، ولا يجوز له أن يضيع وقته فى هذا ، بل فى الخدمة فقط . شخص يتقن الفكاهة الحلوة فيرى البعض أنه معثر للآخرين .

لسنا هنا بصدد الحكم على هذا بأنه صواب أو خطأ . فلسنا هنا نحكم « أحكاماً » فريسية حرفية .. وليس المجال فى هذا الكتاب لدراسة هذه القضايا الفكرية ومناقشتها ، لكننا نود أن نرى عن كثب معنى العثرة . إنها تستخدم بمعانى مختلفة وهى حائرة .

والذى لا يجوز لنا أن ننكره هو أن شعب الكنيسة هو أقسى ناقد ، وفى نقده جارح لا يرحم ، وهو سريع فى الحكم على الأمور ، وسريع فى اتهام الناس بأسوأ الأحكام . هذا الشعب لو اتبع طريق المسيح لما أمسك الأحجار ليرجم الزانية ! فكم بالحرى إن لم تكن زانية !! لماذا يرجمها !!

كما أن شعب الكنيسة ـــ كالشعوب الأقل تحضرا ـــ يخضع لرأى الغالبية أكثر من تقدير الفكر لذاته . وهو مبدأ لم يرضاه المسيح ..

ذاك الذى عمل يوم السبت رغم التعليم الذى عاصره . فاتهموه بالتطرف والانحراف ، ولم يكن هذا ليغير رأيه .

يضاف إلى ذلك أن الصواب مطلق ونسبى فى وقت واحد . هناك خطأ هو دائما خطأ . وهناك خطأ هو خطأ فى مواقف محددة ، فإن تغيرت المواقف ما صار خطأ . والصواب قد يكون صوابا دائما . وهناك صواب — أو تغيرت مواقف — صار خطأ .

وهناك قيم تتغير مع المسئولية . فان الفرد مسئول أولا عن تربية أبنائه . إن ما يعمله الفرد لتربية أبنائه له الأولوية حتى وإن أعثر الغير . ومسئولية الفرد عن أبنائه مسئولية أمام الله . وله أن يقيمها هكذا .

فى ضوء هذا نتقدم لدراسة الأفكار الآتية :

ثانيا — أنواع العثرات وأساليبها :

١ — قيادة الآخرين لعمل الخطية أو الابتعاد عن الله

يعتبر يربعام بن نباط المثل الأول فى ذلك . فقد صنع الآلهة الوثنية للشعب ، وجعله يخطىء ويترك عبادة يهوه (ملوك الأول ١٤ : ١٦) وايزابل أيضا تحتل نفس المكانة . فقد كانت العبادات الوثنية تسمح بعبادات أية آلهة يختارها الانسان لنفسه . ولكل واحد الحق أن يتعبد لأكثر من إله واحد ، متى شاء ، وكيفما شاء . ولذلك أدرج الوثنيون عبادة يهوه ضمن عباداتهم .

عندما كتب يوحنا رسالته إلى الكنائس السبع ، تحدث عن « النيقولاويين » وعن « بلعام » . وفى هذا قال لكنيسة أفسس

« عندك هذا ، أنك تبغض أعمال النيقولاويين التى أبغضها أنا » (رؤيا ٢ : ٦) . وقال لكنيسة برغامس : « ولكن عندى عليك قليل . أن عندك هناك قوما متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى اسرائيل أن يأكلوا مما ذبح للأوثان ويزنوا . هكذا عندك أيضا قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذى أبغضه » (رؤيا ٢ : ١٤ ، ١٥) ثم قال لكنيسة ثياتيرا : « لكن عندى عليك قليل أنك تسيب المرأة ايزابل التى تقول أنها نبية حتى تعلم وتغوى عبيدى أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان » (رؤيا ٢ : ٢٠) .

وفى ضوء هذه الآيات ، يمكننا أن نكتشف الحقائق الآتية :

(أ) نيقولاوس إسم إغريقى يتكون من مقطعين « نيقو » أى « يهزم » و « لاوس » أى الناس . وبلعام اسم عبرى يتكون أيضا من مقطعين : « بلا » أى « يهزم » و « هعام » أى « الناس » ، فهى أيضا تعنى « الذى يهزم الناس » . وربما كان هذا ارتباطا بين الفكرتين عند العبرانيين وعند اليونانيين ، فهما من معنى واحد .

(ب) ترجع قصة « بلعام » إلى « بلعام بن بعور » الذى أراد أن يعلم بالاق بأن يعثر الشعب (عدد ٢٢ — ٢٥) . أما قصة « نيقولاوس » فلسنا نعرف تماماً ما هو مصدرها .

(جـ) الإشارة هنا إلى ايزابل تشير إلى زوجة آخاب التى جعلت اسرائيل يخطىء إلى الله .

إن مشكلة ايزابل هى أنها أدخلت عبادات آلهتها الوثنية إلى الشعب ليتعبد لها مع عبادة يهوه . فالعبادات الوثنية تسمح بذلك . ولكن عبادة « يهوه » هى عبادة الاله الحقيقى الحى الوحيد . فإن الذين عبدوا يهوه رفضوا السجود لآلهة الوثنيين . لم تحاول ايزابل فى بادىء الأمر أن تهدم عبادة يهوه لأنها كانت تريد أن تضم عبادة يهوه إلى عبادة آلهتها الأخرى ، لكن إصرار الشعب على عدم عبادة آلهتها جعلها تندفع بقوة لمحاربة عبادة يهوه ومحاولة تحطيمها .

(د) كان ضمن تعاليم بلعام والنيقولاويين وايزابل : الأكل مما ذبح للأوثان الزنى عن الله (أى البعد عن الله) ، والزنى الجنسى . وسيرد شرح لهذه المشكلات فيما يلى :

وفى هذا يقول يسوع (متى ١٨ : ٦) « من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى ، فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ، ويغرق فى لجة البحر » (راجع مرقس ٩ : ٤٢) . فإن كل من يقود المؤمنين بالمسيح بعيدا عن الايمان ، يكون هو العثرة فإنه « ويل لذلك الانسان الذى به تأتى العثرة » (متى ١٨ : ٧) .

إن خطية الخطايا هى أن تجعل غيرك يخطىء . فان الكأس الأول عندما سكرت به قدمه لك صديق ، والإغراء الأول للسقوط فى الخطية ـــ أيا كانت ـــ جاءك من انسان . لو أخطأت وحدك لكان أفضل أن تكتفى بذلك ، فمتى أدركت شرك تبت . ولكنك لو قدت غيرك للخطأ جعلت الشر يعيش فى العالم ويستمر فى غيرك . ويسوع يريد أن يوقف تيار الشر .

كما أنه من أخطأ الأمور أن تقود شخصاً بريئاً للخطأ . وبذلك تكون كاشارة المرور المخطئة التى تقود الغير فى الخطأ وهو لا يدرى إلى أين يذهب . ويهتم يسوع بالصغار فى الايمان ، الذين تسلس قيادتهم ويسهل توجيههم . إن يسوع يرى أن هذه الجريمة فى منتهى الخطورة . لذلك يرى أنه من الأفضل أن يعلق فى عنق ذلك المعثر حجر الرحى الثقيل ويغرق فى لجة البحر ، أى فى أعماق البحر . فهناك العذاب والوحدة والبعد (راجع لوقا ١٧ : ٢) .

ولا شك أن السبب فى ذلك يعود إلى الحقيقة الأساسية ، وهى أن المعثر الذى يدفع الانسان فى السقوط فى الخطية هو ابليس ، وكل من يمارس هذه المهمة ، يمارس عملا من أعمال ابليس . فقد حاول ابليس إغراء يسوع وإسقاطه فى الخطية (متى ٤) ولم يتمكن .

٢ ــ عثرة مغريات العالم وشهواته

يقول كاتب الأمثال (٦ : ٢٧ ، ٢٨) : « أيأخذ انسان نارا فى حضنه ولا تحترق ثيابه ؟ أو يمشى انسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه ؟ فإن كل انسان يسقط إذا انجذب وانخدع من شهوته » (يعقوب ١ : ١٤) فان شهوات العالم تجد تجاوبا لها فى حياة الفرد وفى ميوله الداخلية . فإن « القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس » (إرميا ١٧ : ٩) .

العالم ملىء بالعثرات . وكثير من متع العالم تجارب تغريك للسقوط فى الخطية . وأنت مسئول عن نفسك فى اختيار الخير أو الشر لتسلك فيه . إن يسوع يرى حقيقة هذه المشكلة ، ويقول : « لا بد أن تأتى

العثرات (متى ١٨ : ٧ ، راجع لوقا ١٧ : ١) فإن العالم شرير وملىء بالتجارب ، ولا يوجد من لا يواجه إغراءات الخطية وشهواتها فى كل مكان .

إن مجرد ترك الطالب لأسرته ليعيش فى مدينة كبيرة ليدرس فى الجامعة يضعه أمام تجربة كبرى . فالوحدة والشباب والمتع ، قد تعرضه للسقوط . لذلك يقول بولس لكنيسة فيلبى (١ : ١٠) : « حتى تميزوا الأمورالمتخالفة ، لكى تكونوا مخلصين بلا عثرة إلى يوم المسيح » . فإن المؤمن الحقيقى يحتاج للمقدرة على التمييز بين الخير والشر ليعيش صالحاً .

أما إن كان إنسان ما يستخدم شهوات العالم ومغرياته ليسقط المؤمن فى الشر ، فهذا الذى قال عنه يسوع : « ويل للعالم من العثرات ، فلا بد أن تأتى العثرات ، ولكن ويل للانسان الذى به تأتى العثرة » (متى ١٨ : ٧) . إن مهمتنا هى أن نرفع العثرة من طريق الناس (اشعياء ٥٧ : ١٤) .

٣ ــ عثرة السلوك الشخصى

إن سلوك المؤمن قد يقود الآخرين إلى المسيح ، وقد يبعدهم عنه . فالمؤمن بسلوكه الشخصى يشهد للمسيح ، فكم من أناس أهملوا الايمان لأنهم رأوا أبناء الكنيسة أبعدما يكونوا عن إيمان المسيح .

إن المشكلة ثنائية الجانب : فالبعض ينظرون إلى قادة المؤمنين كأمثلة حية وكنماذج ناطقة ، فمتى ضعف أحدهم أو فشل ، ضعف

تابعوه وفشلوا . ورغم أن بولس ينصح المؤمنين بالتمثل به كما هو بالمسيح ، إلا أننا ونحن نتمثل بمن هم أفضل منا ، لا يجوز أن نعتمد عليهم . بل ليكن فينا ضميرنا موجها لنا ، فنتبعهم فى الخير لا فى الشر .

والجانب الثانى هو أن هناك بعض ضعاف الإيمان ، الذين يبدأون مرحلة الايمان الأولى ، وليس لهم المقدرة الكافية للحكم على الأمور . هؤلاء يعثرون بسهولة رغم أنه ينبغى أن نعلم الجميع أن يكونوا ناظرين إلى رئيس الايمان وحده ـــ ليس إلى البشر ، وبذلك لا يعثرون .

وهناك من يضعون الخلافات . « فإن من يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة » (يوحنا الأولى ٢ : ١٠) . ويؤكد بولس الفكرة فى قوله : « فلا نحاكم أيضا بعضنا بعضا ، بل بالحرى احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة » . إن الكبرياء والأنانية وطلب مصلحة النفس على حساب الغير تسبب كثيراً من العلاقات السيئة والمعاملات غير الحسنة مع الآخرين ، مما يعثر .

٤ ـــ عثرة الهرطقات والتعاليم المضلة

إن الأنبياء الكذبة الذين يعلمون الناس تعاليم مضلة ليبعدوهم عن الإيمان الصحيح بربنا يسوع المسيح ، هؤلاء يضعون عثرة أمامهم . ومهمة الكنيسة أن تعلم أبناءها التعاليم الصحيحة ، وأن تحذرهم من الهرطقات والتعاليم المضلة حتى لا يحيدوا . وقد لفت بولس نظر كنيسة رومية إلى العثرات الناشئة عن هذه التعاليم ، قائلا : « أطلب

إليكم أيها الاخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات ، خلافا للتعليم الذى تعلمتموه ، وأعرضوا عنهم » (رومية ١٦ : ١٧) .

٥ ــ عثرة الاضطهاد

إن هدف الاضطهاد هو إبعاد الناس عن إيمانهم . هؤلاء هم الذين وصفهم المسيح ، قائلا : « ليس لهم أصل فى ذواتهم ، بل هم إلى حين . فبعد ذلك إن حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون » (مرقس ٤ : ١٧ ــ راجع متى ١٣ : ٢١) . لهذا نبه المسيح التلاميذ ليتوقعوا الاضطهاد والضيق وقال لهم : « قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا » (يوحنا ١٦ : ١) .

ينادى البعض بأن الاضطهاد يزيد شعلة الكرازة بالانجيل . ولا شك أن هذا صحيح من جانب . إلا أن الاضطهاد يزيد عدد المرائين ، الذين وصفهم بولس فى رسالته إلى فيلبى ، بأنهم لما علموا بسجنه كانوا يكرزون بالانجيل عن حسد وخصام . وهناك من يخافون من الاضطهاد ويرتدون عن الايمان . كما أن هناك الذين يبقون فى الإيمان ، وإنما تظللهم سحابة من الفتور الروحى والخضوع الناشئة عن الضغط والضيق .

ثالثا ــ عثرة القوى والضعيف

عالج بولس الرسول مشكلة العثرة علاجا ينطوى على مشكلات عملية واجهت الكنيسة فى عصره وهذه المشكلات تعتبر نموذجا

صادقا لمشكلات تواجه الكنيسة فى العصر الحاضر . اهتم بولس بمعالجة هذه المشكلة فى الأصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٠ من رسالته الأولى إلى كورنثوس وفى الأصحاح الرابع عشر من رسالته إلى رومية . فقد ظهرت مشكلة فى كنيستى كورنثوس ورومية ، تسببت فى قسمتها إلى فريقين :

فريق نادى بالحرية المسيحية وطالب بالتحرير من كل التقاليد القديمة ، وفريق آخر التزم بها وأحس أنه بإزاء المجتمع الوثنى يجب أن يرتبط بها ولا يجوز له التخلى عنها .

الفريق الثانى يهتم بحفظ يوم الرب بطريقة قريبة من اليهودية ، ونظم قوانين للمحللات والمحرمات من المأكولات وغيرها كما فعلت اليهودية ، أما الفريق الأول فلم يهتم بهذه بل نادى بالتحرر منها . وقد وصف بولس الفريق الأول بأنه فريق « الأقوياء » والفريق الثانى بأنه فريق « الضعفاء » ، فى قوله : « من هو ضعيف فى الايمان فاقبلوه — لا لمحاكمة الأفكار . واحد يؤمن أن يأكل كل شيء ، وأما الضعيف فيأكل بقولا » (رومية ١٤ : ١) وفى قوله : « فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء » (رومية ١٥ : ١) .

كيف يوضح بولس عمليا — الفرق بين الضعيف والقوى ؟ إن الضعيف فى نظر بولس : هو الشخص الذى يهتم بالحرفيات والسطحيات والأمور التافهة والبسيطة والمظهرية . أما القوى فهو الشخص الذى يهتم بالأمور الأكثر أهمية وعمقا . الضعيف هو الذى لا يدرك معنى « الحرية المسيحية » ويريد أن يضع قيودا حرفية

للسلوك الفردى ، أما القوى فهو الذى يدرك أبعاد معنى الحرية المسيحية وما فيها من ميزات يتمتع بها أولاد الله . الضعيف هو الأقل نضجا ، والقوى هو الناضج الواعى لمسئولياته وحقوقه . الأول يرى أن المسيحية مجموعة قوانين حرفية ، والثانى يرى أن المسيحية تغيير جوهرى ولا تطلب ممارسات معينة محددة ، وقد قدم بولس تفسيرا لما حدث فى كنيستى رومية وكورنثوس ونتج عنه عثرة الضعفاء فى مثلين :

١ ـــ التمييز فى الأيام .
٢ ـــ التمييز فى الأكلات .

وقد سبقت الإشارة إليهما فى موضوع « الحرية المسيحية » ونحن نناقشهما هنا فيما يختص بالعثرة .

١ ـــ التمييز فى الأيام :

قال بولس (رومية ١٤ : ١٥) : « واحد يعتبر يوما دون يوم ، وآخر يعتبر كل يوم » ، والفكرة هى تقديس أيام معينة أكثر من غيرها . ونوع السلوك فى تلك الأيام ، ومنها قول بولس (غلاطية ٤ : ١٠) : « أتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين ؟ » ثم قوله (كولوسى ٢ : ١٦) : « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » .

من هذا ما يحدث فى أيامنا الحاضرة : هل نشترى الجرائد فى يوم الأحد أم لا ؟ هل نعمل يوم الأحد فى دواوين الحكومة كموظفين

أم لا ؟ هل نحتفل بأعياد الميلاد والقيامة أم لا ؟ هل يجوز السفر يوم الأحد ؟ وهكذا .. فهناك أسئلة كثيرة ، وقد ترددت أسئلة كثيرة أيام الرسول بولس : هل تبدأ مشروعا ما يوم الجمعة ؟ وهل تقدس الرقم ١٣ ؟ (وكان ذلك فى رأيهم إشارة للجمعة الحزينة أو يهوذا الأسخريوطى فى رقم ١٣ من عدد الجالسين حول مائدة العشاء الربانى) .

٢ ـــ التمييز فى الأكلات :

كان كل ما يذبح فى تلك الأيام يذبح للآلهة . وكان اللحم يستخدم للأكل بل أن الآكلين كانوا يشربون نخب الإله الذى ذبح له اللحم قبل تناول الطعام ، لدرجة أن البعض كانوا يعتبرون أن المائدة العادية هى شركة بين أولئك الذين يتناولون الطعام عليها ، وأن الإله نفسه حاضر معهم على (وليمة الشركة) .

هل اختلف المسيحيون ؟

البعض نادوا بالانفصالية ، ونادوا بالنباتية بمعنى عدم الأكل كلية مما ذبح للأصنام لأن ضمائرهم تعثرت فكيف يأكلون مما ذبح للأصنام ؟ وكيف يجلسون على موائدهم ؟ والبعض استمروا يأكلون مما ذبح للأصنام .

المحافظون الذين نادوا بالانفصالية وافقوا على ما جاء فى (أعمال الرسل ١٥ : ٢٩) : « أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم عنها فنعما تفعلون » . هؤلاء

دعوا إلى انقسام فريق المؤمنين إلى قسمين : محافظون ومتحررون .

أما المتحررون ، ومنهم بولس ، فيعتقدون بأن المسيحية ترفع الانسان فوق مستوى الأكل والملبس إلى السلوك العملى الصحيح .

نظر النقاد إلى يوحنا المعمدان بأنه « لا يأكل ولا يشرب » فقد كان محافظا انفصاليا . ونظروا إلى يسوع بأنه « يأكل ويشرب » فقالوا عنه إنه متحرر ، أكول وشريب محب للعشارين والخطاة .

ولا شك أن الكثيرين يحتارون .. أيهما على صواب ؟ وبولس وهو يتحدث عن القوى والضعيف لا يصدر هذا كأحكام قضائية ، إنما يصف بها حالات المؤمنين . فمنهم من لا يحتمل — فى ذاته — مواجهة تجربة ما ، والأفضل له أن يهرب منها ، ومنهم من يحتمل أن يواجه التجارب العاتية فيثبت أمامها كالصخر ولا يتزعزع ومنهم من يقدر على مهاجمتها ، وفى كل حالة من هذه الحالات ، يتوقف الأمر على مدى معرفة المؤمن لمقدراته الحقيقية ، وتصرفه فى ضوء ذلك .

ولكن الأمر أعمق من ذلك بكثير ؟ إننا نحتاج لتحليل واضح لموقف الرسول بولس وتقويمه للضعيف والقوى ، وسلوك كل منهما فى اتخاذ طريقه الذى يستريح ضميره عليها .

إلى جانب ذلك أرجو أن نتحاشى تقسيم المجتمع الكنسى إلى قسمين : قسم المتحررين والمتقدمين وقسم المتخلفين والمتزمتين . فإن الكتاب المقدس لم ينه عن أحد النوعين من السلوك وترك كل واحد

يحتكم إلى ضميره الشخصى . لقد وضعت بعض الكنائس (فى أيام بولس الرسول) قانونا بعدم الأكل مما ذبح للأصنام ، وقد أراد بولس أن يمنع مثل هذه التصرفات . فإنه لا يجوز أن تضع كنيسة ما قائمة « للمحرمات » يحرم على المؤمنين ممارستها . فكما سبق أن شرحنا لا ينطبق هذا على مفاهيم العهد الجديد .

المبادىء الأساسية لمفهوم العثرة

لهذا نتقدم خطوة أخرى لندرس فيها المبادىء الأساسية التى تكشف لنا حقيقة « العثرة » فى مفهومها اللاهوتى والتطبيقى ، ولا شك أن هذه الأسس أو المبادىء تعاوننا على تقويم كل ما يقابلنا فى حياتنا ، وتساعدنا فى الحكم الصائب على الأمور والقيم .

يمكننا أن نستخلص من تعاليم العهد الجديد المبادىء التالية :

١ ــ كل انسان يجب أن يكون مقتنعا بفكرته الشخصية وبرأيه على صواب أمام الله :

فإن ما يمليه عليك ضميرك هو سيد الأحكام . إن الشك البسيط أو التردد لا يصلح لهذا الموقف . قال بولس (رومية ١٤ : ٢٢ ، ٢٣) : « ألك ايمان ؟ فليكن لك بنفسك أمام الله . طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه . وأما الذى يرتاب فان أكل يدان لأن ذلك ليس من الايمان . وكل ما ليس من الايمان فهو خطية » . لكل انسان علاقة شخصية بالله ، وهذه العلاقة تتكون على أساس الفرد وليس على أساس المجتمع . لهذا فإن الضمير الشخصى هو الحكم الوحيد على تصرفات الانسان أمام الله . أما فى حالة عدم اقتناعك

بفكرة ما فلا تتصرف إلا بعد الدراسة والصلاة وتكوين فكرة تقتنع بها .

وهنا يتساءل البعض : هل معنى ذلك أنه لا مكان للنصيحة ؟ ألم يوصى الكتاب بضرورة النصيحة ؟ نعم .. النصيحة لها مكانها الثابت فى كلمة الله . إلا أنه يوجد فرق بين « النصيحة » و « السيطرة » . هناك قدامى الايمان الذين « يسيطرون » على بسطاء الإيمان سيطرة رهيبة . إنهم يريدون من بسطاء الإيمان أن يصبح الفرد منهم « صورة طبق الأصل » من قدماء الإيمان ، كما لو كان الحديثون « صورا كربونية » .

والإيمان المسيحى لا يقبل ذلك . إن النصيحة لا تعطى « بالأمر » بل « بالمحبة » . إنها لا ترغم المستمع ، بل توجهه . إنها لا تتسيد ، بل تحب . إنها لا تسود بل تعطى الشخصية أن تنمو فى اطار تجاوبها المباشر مع روح الله . إن حياة النمو الروحى تشترط الاختيار الشخصى ، وحرية الحركة . إن النصيحة تلزم الناصح بأن يترك لمن يستمع للنصيحة حرية اصدار القرار الأخير ، ولو كان مخالفا للنصيحة . وبالتالى ، فإن من يصدر القرار مسئول مسئولية كاملة أمام الله عما يعمله .

٢ــ قد تختلف الضمائر فى أحكامها ، وليس للبشر أن يحكموا على بعضهم البعض :

إن المناقشة فى هذا الموضوع ترينا إخلاص المؤمن فى الوصول إلى حكم سليم ، وفى أصول السلوك المسيحى المستقيم . إلا أن الضمائر

تسير على خطين مستقيمين كما سبق الشرح . فهناك المحافظون فى تفكيرهم وسلوكهم وهناك المتحررون . فلو عدنا إلى أحكام بولس نراه يتحدث كمتحرر عن مبادىء الأكل مما ذبح للأوثان قائلا : « واحد يؤمن أن يأكل كل شىء وأما الضعيف فيأكل بقولا .. واحد يعتبر يوما دون يوم وآخر يعتبر كل يوم . فليتيقن كل واحد فى عقله . الذى يهتم باليوم فللرب يهتم . والذى لا يهتم باليوم فللرب لا يهتم. والذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله . والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله » (رومية ١٤ : ٢ ، ٥ ، ٦) .

فإن بولس كان يريد أن يلقى جانبا كل التقاليد والنظم والممارسات مناديا بالحرية المسيحية المباركة . ولعل بولس يكشف نفسه فى قوله « لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كولوسى ٢ : ١٦) ، ويستفهم استفهام التعجب والاستنكار مع شعب غلاطية (٤ : ١٠) قائلا : « أتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين ؟ »

ثم يتوسع بولس قائلا : « إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع — أن ليس شىء نجسا بذاته إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس .. لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشربا » (رومية ١٤ : ١٤ ، ١٧) .

وبولس نفسه يرى أنه لا مانع من أن يأكل مما ذبح للأوثان . يبنى أحكامه على إنكاره لوجود الوثن فى قوله : « فمن جهة ما ذبح للأوثان نعلم أن ليس وثن فى العالم ، وأن ليس اله آخر الا واحدا .. ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله ، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل

لا ننقص » (كورنثوس الأولى ٨ : ٤ ، ٨) . بل يفتح بولس الباب على مصراعيه ــ فى الحرية المسيحية ــ قائلا : « كل ما يباع فى الملحمة كلوه غير فاحصين عن شىء من أجل الضمير . إن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا ، فكل ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٥ ، ٢٧) ، وكأن بولس يريد أن يشرح للأخوة بأن تعقيد الأمور ليس على صواب . وهنا يتساءل بولس عن نفسه : « فإن كنت أنا أتناول بشكر فلماذا يفترى على لأجل ما أشكر عليه » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٣٠) .

لماذا يحكم الواحد منا على الآخر ؟ وبولس يعتقد أنه بهذا يتحتم كلام المسيح : « ليس شىء من خارج الانسان اذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الانسان » (مرقس ٧ : ١٥ ــ ٢٣) ولكن الجانب الآخر المحافظ يرى وجهة نظر أخرى . فإن بعض الناس يتأثرون بسرعة وقد يميلون للانحدار أسرع من غيرهم . فلو جلس أحدهم على مائدة يشربون فيها نخب الإله الوثنى ، لربما وجد نفسه ينصاع إليهم ويشرب معهم . كيف لا وقد عاش طول عمره على هذا المستوى ؟ وفى نظر أولئك أن عدم أكل اللحوم أفضل من أكلها والوقوع فى التجربة . فإن كان المتحرر يرى أنه لا يمنعه شىء من أكل اللحوم المذبوحة للأوثان فإن المحافظ قد يرى أنه من الأهمية بمكان أنه يمتنع عنها . وبينما يرى المتحرر لزوم اندماجه فى المجتمعات غير المؤمنة يرى المحافظ أن الانفصالية سلاحه الأكبر .

فمن الذى يحكم ؟

« أليس من حق كل واحد أن يحكم على نفسه فقط ؟ فلا يزدر من يأكل بمن لا يأكل ، ولا يدن من لا يأكل بمن يأكل لأن الله قبله . من أنت يا من تدين عبد غيرك ؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط . لكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته » (رومية ١٤ : ٣ ، ٤) . لهذا ، لا يجوز قط أن نجعل أحكامنا على الأمور أحكاما عامة نحكم بها على غيرنا . لكل منا ضمير والله يحكم علينا بحسب ضمائرنا . ليس من حق المتحرر أن يتهم المحافظ بأنه ضيق الأفق ، وليس من حق المحافظ أن يتهم المتحرر بأنه شرير . إن وحدة الكنيسة تهددها خلافات المتحررين مع المحافظين . إن كل الناس يريدون حلا مباشرا صريحا يتفق فيه المجتمع ، ولن يحدث هذا . فكلنا نختلف عن بعضنا البعض فى الفهم والعلم والخبرة لنحيا معا ، محاولين أن نقبل بعضنا بعضا رغم اختلاف آرائنا لننقذ الكنيسة من التنافر والانقسام . (ولعلى أوضح هنا أن التحرر لا يقصد به التحرر من العقيدة المسيحية السليمة ، وإنما هو تحرر فى مظاهر السلوك فقط . وهو أمر لا يمس الايمان) .

٣ ــ لا يجوز للقوى أن يضع معثرة أمام الضعيف . فإن سلوك القوى يجب أن تحكمه رغبة البناء وإرادة المحبة :

ترتبط الحرية المسيحية بالضمير ارتباطاً وثيقاً . فالبصيرة تضع لك المبادىء لتسلك بحسبها ولكن الضابط الوحيد الذى يدفعك للسلوك من عدمه هو المحبة .

إن ما يستريح عليه ضميرك قد لا يستريح عليه ضمير غيرك . إن المعرفة شيء والمحبة شيء آخر ، لكن يجب أن تتحكم المحبة فى المعرفة . حتى لا تسيء إلى الغير .

إن القوى مجرب باحتقار الضعيف . قد يشعر بأنه متحرر مستنير أوسع أفقا . لكن لا تدع النور الذى عندك يفسد حياة غيرك . « فمن هو ضعيف فى الايمان فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار » (رومية ١٤ : ١) . فإن شعار المسيحى : « لاتنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه ، بل إلى ما هو لآخرين أيضا » (فيلبى ٢ : ٤) . ويكرر بولس نفس المعنى فى قوله : « لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو للآخر » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٤) . ويعبر بولس عن نفس الفكرة بشرح أوسع وأجمل ، فى قوله : « فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا . فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان » (رومية ١٥ : ١ ، ٢) . إن المحبة هى الوسيلة الوحيدة لخلق مجتمع مسيحى متوافق ، رغم اختلافه فى طريقة تطبيق مبادىء الرب يسوع المسيح . فالمبادىء واحدة ، أما الاختلاف ، فهو فى طريقة تطبيقها فقط .

لهذا يعيد بولس النظر . فإنه متحرر يؤمن بأن الأكل مما ذبح للأوثان ، والجلوس مع الوثنيين على المائدة والأكل معهم ، كل هذا لا يعثر ضميره الشخصى . إنه قوى جدا . وهو يعلم أن هذه المشاركة قد تعطيهم احساس المحبة ، ولن تدفعه هو لمشاركة العبادة . بل إنه لم يمانع من الجلوس فى هيكل الوثن لشراء اللحم . إن ضميره شخصيا لن يتعثر من هذا .

ولكن ما هو موقف الضعيف ، الذى يراه من بعد ؟ « لأنه إن رآك أحد ، يامن له علم متكئا فى هيكل وثن ، أفلا يتقوى ضميره ، إذ هو ضعيف حتى لا يأكل ما ذبح للأوثان . فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذى مات المسيح من أجله . وهكذا ، إذ تخطئون إلى الاخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون إلى المسيح . لذلك إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحما إلى الأبد » (كورنثوس الأولى ٨ : ١٠ ــ ١٣) . ويكرر بولس نفس الفكرة فى قوله : « حسن أن لا تأكل لحما ولا تشرب خمرا ، ولا شيئا يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف » (رومية ١٤ : ٢١) . فإنه « إن كان أخوك بسبب طعام يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة . لا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله ... لا تنقض لأجل الطعام عمل الله . كل الأشياء طاهرة لكنه شر للانسان الذى يأكل بعثرة » (رومية ١٤ : ١٥ ، ٢٠) . ثم يقدم بولس إنذارا واضحا « اناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كانه مما ذبح لوثن . فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس . ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله . لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص . لكن أنظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء » (كورنثوس الأولى ٨ : ٧ ــ ٩) .

٤ ــ سلوك القوى لا يجوز أن يكون كاذبا

وهنا يرى القوى نفسه حائرا . إنه مقتنع كل الاقتناع بأن الأكل مما ذبح للأوثان لا غبار عليه . بل هو مطمئن كل الاطمئنان على أن ذلك حق أمام ضميره وأمام الله لكنه يفاجىء بالقول : « كل

الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء تبنى » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٣) فإن كان هدفه المحبة أو البناء ، فماذا يعمل ؟ .

يقول الرسول : « كل ما يباع فى الملحمة كلوه غير فاحصين عن شىء من أجل الضمير » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٥) . لهذا فإن عدم الشرح والتوسع والتحقيق يحل شيئا من المشكلة . أما « إن قال لكم أحد : هذا مذبوح لوثن فلا تأكلوا من أجل ذاك الذى أعلمكم والضمير .... أقول الضمير ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر . لأنه لماذا يحكم فى حريتى من ضمير آخر » (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) . ومعنى هذا أنه إن كنت فى موقف التحدى من شخص يعلن لك أن هذا لحم مذبوح لوثن ، فلا تأكل معه .

ولكن : متى يمكننا أن نحكم على موقف إنه معثر ؟ إن شخصا يرى أن مشاهدة التليفزيون شر ، وآخر يرى فيها خيرا ؟ فهل يكذب من يرى فيها خيرا ، ويقول أمام الناس إنها شر ؟ . هذا لا يجوز . إن بولس لا ينكر رأيه فى الموافقة على الأكل مما ذبح للأصنام . ولو سأله ضعيف فى الايمان ، لأجاب بما هو مقتنع به وإلا كان كاذبا . لا يجوز لنا أن نكذب ، ولا يجوز لنا أن نحاول أن نظهر بغير حقيقتنا . فلو اكتشف الغير أننا نتظاهربغير الحقيقة ، لكنا أكثر عثرة لهم .

الواقع أن مشكلة « القوى » هى أن يختار لنفسه ما يعتبره معثرا بحق ــ أمام ضميره ويحترس فى ممارسته . وإنما لا ينكر رأيه متى جاء الوقت ليكون صادقا بحق . هو الذى يضع الخط الفاصل بين ما هو مهم وما هو أقل أهمية .

فإن بولس مثلا — كان يعتقد أن الأكل مما ذبح للأوثان قد يعثر البسطاء فعلاً . فإن عملية التناول من هذا الطعام كانت أقرب للعبادة عند الوثنيين . لهذا أحس بولس بخطورة الموقف ، وإمكانية وجود العثرة . ولكنه ربما ما كان يجد هذه الضرورة الملحة فى موقف آخر .

٥ — سلوك القوى يجب أن يكون رابحا

عندما طلبت الضريبة من يسوع ، وأحس هو بأنه ليس أسيرا ليدفع الجزية ، شعر أيضا بأنه لو لم يدفع الجزية لخسر بعض الناس الذين كانوا يتهمونه بالتمرد على الحكم . لهذا قال : « لئلا تعثرهم ، اذهب (يا بطرس) إلى البحر ، والق سنارة والسمكة التى تطلع أولا خذها ومتى فتحت فاها تجد أستارا . فخذه واعطهم عنى وعنك » (متى ١٧ : ٢٧) .

ويقول بولس : « لسنا نجعل عثرة فى شىء لئلا تلام الخدمة » (كورنثوس الثانية ٦ : ٣) . فكل ما يرفع اللوم عن الخدمة يجب أن نعمله .

البعض يستخدمون كلمة عثرة فى غير معناها . كمن يقول لك فلان أعثرنى لأنه صاحب صالون للسيدات . ليست هذه عثرة بقدر ما هى شىء غير مستحسن فى نظره . إن قصده أن يقول : لست أوافق على أن يكون فلانا صاحب صالون للسيدات . ليس فى هذا عثرة سوى لصاحب الصالون إن أحس هو بذلك » .

إن الضمير المسيحى هو الذى لا يعثر فى الخطية ، ولا يدفع غيره

لارتكاب الخطية . فإن مهمة كل واحد منا أن يدرب نفسه ليكون له ضمير بلا عثرة ، من نحو الله والناس (أعمال الرسل ٢٤ : ١٦) فان الله قادر أن يحفظنا بلا عثرة إلى اليوم الأخير (يهوذا ٢٤) .

الفصل الثامن

أسس السلوك المنتصر



هذه الدعوة تتطلب منا تكريس كل شيء للمسيح . قال بولس : « كما قدمتم أعضاءكم عبيدا للنجاسة والاثم للاثم ، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيدا للبر للقداسة »

(رومية ٦ : ١٩) .

ثم قال : « فأطلب إليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية »

(رومية ١٢ : ١) .

وهذا يعنى أنك لست ملكا لذاتك بل لله « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم »

(كورنثوس الأولى ٦ :١٩) .

هذا لا يعنى أنك لست مالكاً ولكنك وكيل لله على ما عندك : جسد ، عقل ، مال ، أسرة ، مواهب ، وقت ، أملاك .. كل هذه ليست ملكا لك . أنت وكيل الله على استخدامها وتقديمها طاهرة نقية له . لهذا فإن المطالبة بدفع العشر خطأ فى حد ذاتها . الواقع أن العشر هو الحد الأدنى للدفع لقد دفعوا قديما ثلاثة أعشار . إن المناقشة عن العشور تكون صعبة لأنها تتطلب الدفع لكنها تصبح أمرا سهلاً ، عندما نشعر عن يقين أننا لسنا ملكاً لأنفسنا بل نحن ملك لله . لهذا فعلينا أن ندفع له مما له عندنا .

ما هى أسس السلوك المسيحى المنتصر ؟ لقد رأينا فى دراستنا السابقة أنه لا يجوز لنا أن نضع قائمة لمحللات وقائمة أخرى للمحرمات كما وأننا شرحنا ، أنه ليس فى الإمكان أن الكنيسة تضع قائمة يخضع الشعب لها ، فإن ما يتفق مع ضمير معين ، قد لا يتفق مع ضمير آخر .

يحاول البعض التساؤل : « لو كان يسوع هنا فهل كان يعمل هذا وذاك » وهذا سؤال رائع ، والجواب عليه ينبغى أن يحدد نوع سلوك الفرد . إلا أن المشكلة هى فى الجواب ، فمن الذى يقدر أن يحدد نهائيا ماذا كان يسوع يعمل لو كان موجوداً ؟ إن إجاباتنا على هذا السؤال لهى من تخمين وتقدير كل فرد على حدة وقد نتفق أو لا نتفق فيه .

وقد احتار البعض ، قائلين : لماذا لم يضع لنا يسوع شريعة واضحة صريحة ، يسهل علينا بها اتخاذ القرارات ؟ لا شك أننا ــ فى ضوء الدراسة السابقة ــ ندرك السبب لماذا لم يضع يسوع مثل

هذه الشريعة الحرفية . إن قيمة المسيحية هى فى أن المؤمن لا يخضع لقرارات حرفية ، وإنما يفكر ويدرس عن عمق وفهم ويختار لنفسه سبيل السلوك .

وفى هذا لنحذر أن يكون سلوكنا هو مجرد مطاوعة رأى المجتمع ، وإرضاء الجماعة التى تحيط بنا . إلا أننا ينبغى أن ندرك أن الخط الفاصل بين القيم الصالحة وغير الصالحة خط باهت غير واضح . وفى مرات كثيرة ننزلق دون أن ندرك . ولهذا وجب على المؤمن أن يكون يقظا حساساً متفتحاً . فالكبرياء خير إن كانت عزة نفس ، وشر إن كانت احتقارا للغير . والشهوة خير إن كانت لشىء فى حوزتك ومن حقك ، أما إن طالبت بمتعة لاحق لك فيها أصبحت شرا . إن قوة الايمان هى فى السهر المستمر ومراعاة طريق السلوك المسيحى السليم فى محضر الله وبإرشاد الروح القدس للضمير الفردى .

للحياة المنتصرة سلوك متميز . إننا لا نميز بين المؤمن وغير المؤمن بمظاهرهما . بل إننا ، نرى فرقاً واضحاً بين المؤمن وغير المؤمن فى سلوكهما المسيحى وفى معاملتهما مع الناس . وهذه بعض أسس السلوك المسيحى .

١ ـــ حياة مقدسة

ونقصد بالقداسة الفرز والتطهير . فكل شىء مفرز لله مقدس إن كان مادة أو شخصاً . أما فى حياة الأفراد : فالقداسة تتطلب التطهير اليومى من الخطية . فإنه « نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة . لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس » (بطرس الأولى ١ : ١٥ ، ١٦) . ويقول بولس : « كما اختارنا فيه

قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة » (أفسس ١ : ٤) . لأن « الله لم يدعنا للنجاسة بل فى القداسة » (تسالونيكى الأولى ٤ : ٧) . فإن دعوة الله لنا ليست « إلى » النجاسة ، بل « فى » القداسة . فنحيا فى القداسة ونتشبع بها .

٢ـــ حياة الاعتزال :

ما هو موقف المسيحى من العالم ؟ ومن هم أهل العالم ؟ وما هى نظرة المؤمن لغير أبناء الكنيسة ؟ لا شك أن هناك دعوة للاعتزال : « قال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك » (تكوين ١٢ : ١) .

كان الفريسيون والكتبة يرفضون التعامل مع غير شعب الله أو ممارسة برامج مشتركة معهم ، بل فى كل مرة دخل فيها أجنبى إلى شعب الله لم يكن يحصل على الرضا الكامل . وحتى جاء العهد الجديد ، كان هناك صراع على دخول الأمم إلى كنيسة المسيح . وقد أصر بولس الرسول على لزوم دخولهم ، ورأى بطرس الرسول رؤيا بهذا الخصوص .

لقد اهتم الفريسيون بحفظ أنفسهم ، وبالاهتمام بذواتهم أكثر من الاهتمام بالغير . لقد ظهر ذلك فى الفريسى الذى صلى قائلا : « أشكرك اللهم ، أنى لست مثل باقى الناس » (لوقا ١٨ : ١١) . إن المسيحية لا تطالب المؤمن بالاعتزال عن المجتمع ، بل بالحرى تطالبه بالاندماج مع الآخرين والتعامل معهم دون كبرياء .

إن دعوة الاعتزال تتضمن المعانى الآتية :

(أ) الاعتزال لله :

وفى هذا يقول كاتب التثنية (١٤ : ٢) : « لأنك شعب مقدس للرب الهك ، وقد اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » . وهذا الاعتزال يرجع إلى كوننا من وطن أفضل . فإننا لسنا من العالم . وقد وضح الرب يسوع هذه الحقيقة فى قوله : « إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٨ ، ١٩) .

وفى هذا سيطرة الروح القدس على حياة الانسان كاملة .

(ب) اعتزال عن الشر :

« لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم . إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب . لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته » (يوحنا الأولى ٢ : ١٥ — ١٧) ، فإنه أية شركة للنور مع الظلمة ؟ وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟ » (كورنثوس الثانية ٦ : ١٤ ، ١٥) .

عندما تحدث بولس عن الشهوات الشبابية ، لم يكن يقصد الشهوات الجنسية فقط ، بل كل الشهوات التى تدخل قلب الشاب . وفى هذا نصح بولس تلميذه تيموثاوس قائلا : « أما الشهوات

الشبابية فاهرب منها » . والهروب هنا إما هروب فكرى ، بأن أبعد بتفكيرى عن الشر إلى تفكير صحيح ، أو هروب مكانى ، بأنى أترك المكان وأعتزل .

(جـ) اعتزال عن عشرة الأشرار :

لقد شاهد بولس الرسول دخول مفاسد كثيرة إلى كنيسة كورنثوس ولعله أحس أن جزءاً من هذه المفاسد دخل بسبب دخول أشخاص غير مؤمنين إلى الكنيسة . وهنا نادى بولس بصراحته المعهودة فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٦ : ١٤ — ١٨) ، قائلا : « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين . لأنه أية خلطة للبر والاثم ؟ وأية شركة للنور مع الظلمة ؟ وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟ وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن ؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان ؟ فإنكم أنتم هيكل الله الحى . لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا فأقبلكم » .

أما النير فيقصد به اتفاق وارتباط قوى بين المؤمن وغير المؤمن فى العمل والهدف . النير هو الرباط الخشبى الذى يربط بين ثورين يقومان بالحرث معا . فالثوران لهما عمل واحد وهدف واحد ، ما دام النير عليهما . ولكن حياة المؤمن تختلف عن حياة غير المؤمن . فلن يتفقا فى الهدف ، ولا فى العمل .

بل إن هذا هو الذى دعى يسوع لأن يقول : « وإن كان أحد يأتى إلى ، ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » (لوقا ١٤ : ٢٦) .

إن المسيح لم يناد بفصل المؤمن عن أسرته ، بل بالاعتزال عنهم إن كانوا سببا فى حرمانه من إيمانه . إن الأسرة والصداقة ينبغى أن تكون وسائل لغاية سامية وهى بناء ملكوت السماوات . فإن كانت الأسرة أو الصداقة معطلة لهذه الغاية ، كان الانفصال لازما . وإن لم تكن معطلة ، فإننا نحيا معهم ، لكننا لا نحيا حياتهم .

سأل الفريسيون الكتبة كثيراً : « لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة » (متى ٩ : ١١) عاش اليهود أحزابا . فإن طبقة الكتبة والفريسيين كانوا منفصلين عن العشارين والخطاة . نادى اليهود بالانفصالية ، لكى يميزوا بين طبقة تحفظ الشريعة ، وطبقة لا تحفظها .

لم يدعنا يسوع للانفصالية ، لكنه دعانا للاعتزال الروحى . هناك فرق بين الصداقة والعشرة . فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة . ذلك لأن المعاشرة تعنى المعيشة المشتركة فى كل شىء . أما الصداقة ، فتحتفظ للانسان بشخصيته وباختلافه عن الصديق فى وك التصرف والعمل .

فى مثل المسيح عن الحنطة والزوان ، لم يدع يسوع للانفصال ، بل قال : « دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد » (متى ١٣ : ٢٩ ، ٣٠) .

وقد نجرب نحن اليوم أن نعيش هكذا . نشعر نحن المؤمنين بأننا المسيحى الحقيقى يحترم الخطاة ويحبهم ، ويتعامل معهم . وبذلك يعطيهم صورة صادقة حية لمعنى المسيحية وقلبها المحب .
أفضل من غيرنا ، فنحتقرهم ، وندينهم ، ونسخر بهم ، ولا نتعامل

معهم. إن المسيحي الحقيقي يحترم الخطاة ويحبهم، ويتعامل معهم. وبذلك يعطيهم صورة صادقة حية لمعنى المسيحية وقلبها المحب.

٣ ــ طريق المحبة

عندما تحدث يسوع فى موعظته على الجبل عن الكمال قال : « فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (متى ٥ : ٤٨) . ولعلنا نرى أن الآية تبدأ بحرف الفاء ، الذى يشير إلى ما قبلها . والحديث فيها كله عن محبة العدو ، وعدم رد الإساءة ، وهكذا . لأنه « إن قال أحد إنى أحب الله ، وأبغض أخاه فهو كاذب . لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره ، فكيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره ، ولنا هذه الوصية منه ، أن من يحب الله يحب أخاه أيضا » (رسالة يوحنا الأولى ٤ : ٢٠ ، ٢١) . وهو يقصد بالأخ الجنس البشرى كله . كما تحدث يسوع عن « السامرى الصالح » كالقريب . فإن كان حب النفس هو أسمى حب ، فإن حب القريب كالنفس هو الهدف فى قوله : « تحب قريبك كنفسك » والقريب هنا هو العدو أو الصديق .

بل أن محبة العدو ترتفع لمستوى المغفرة . لأنه « إن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (متى ٦ : ١٥) . وقال يسوع « لا أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة سبع مرات » (متى ١٨ : ١٢) .

إن أساس السلوك المسيحى السليم هو أن تكون مستعدا على الدوام أن تغفر لمن يسىء إليك . إلا أن صليب يسوع ، رفع مستوى حب الأعداء ، لدرجة أعظم من المغفرة ، وهى درجة « التضحية » .

« بهذا عرفنا المحبة ، أن ذاك وضع نفسه لأجلنا ، فنحن ينبغى أن نضع نفوسنا لأجل الاخوة . وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه » (يوحنا الأولى ٤ : ١٦) .

ولا شك أن هذا المعنى الواضح فى قول المسيح : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى » (متى ١٦ : ٢٤) . فإن حمل الصليب يعنى حب الناس ولو آل الأمر لحمل الصليب لأجلهم . فإنه كما أن عدم أمانتنا لا يبطل أمانة الله . هكذا فان عدم أمانة الناس لنا ، لا يجوز أن تبطل أمانتنا ومحبتنا لهم .

٤ ــ أسلكوا فيه

قال بولس : « فكما قبلتم المسيح يسوع الرب أسلكوا فيه » (كولوسى ٢ : ٦) . يقصد بولس أن حياة الانسان تبدأ بقبول المسيح مخلصاً ورباً وسيداً ، ثم على المؤمن أن يسلك فى المسيح . فإن يسوع هو الطريق الذى نسلكه . وإن دخلنا هذا الطريق ، فإننا نصبح فيه وهو فينا .

فلو سمحنا لقطعة الاسفنج أن تسقط فى الماء ، فإنها تحيا فى الماء ، لكن الماء يملأ كل ركن فيها . إنها فى الماء والماء فيها . وحياة المؤمن الذى يسلك « فى » المسيح ، يحيا فى المسيح ، والمسيح فيه . « لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضا بقيامته » (رومية ٦ : ٥) . « فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة » (رومية ٦ : ٤) . ويصف بولس حياته فى هذا المعنى

الجميل ، قائلا « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى . فما أحياه الآن فى الجسد ، فإنما أحياه فى الايمان ، إيمان ابن الله ، الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غلاطية ٢ : ٢٠) .

السلوك المسيحى .
هو سلوك فى المسيح .
فالمسيح هو الطريق .
وفى هذا اتحاد مع المسيح .

المراجع

سمية أحمد فهمى ــ دكتورة ، **الضمير : نعمة أم نقمة** . مقال فى مجلة التربية الحديثة ــ عدد أكتوبر ١٩٦٦ .

صموئيل حبيب ــ القس ، **أسرار السعادة** . **القاهرة** : دار الثقافة المسيحية ، ١٩٦٧ .

محمد كامل النحاس . **سيكلوجية الضمير** . القاهرة : دار الفكر العربى .

هالسبى ، أ . **الضمير** . تعريب نجيب جرجور . بيروت : مركز المطبوعات المسيحية ، ١٩٦٨ .

Hamilton , William , **The Christian Man** , Philadelphia , Westminster Press (Layman's Theological Library) , 1953 .

Kee , Howard Clark , **Making Ethical Decisions** . Philadelphia : Westminster Press (Layman's Theological Library) , 1957 .

Thomas , George F ., **Christian Ethics and Normal Philosophy** . N.Y : Charles Scribner's Sons .

Lehman , Paul L. **Ethics in a Christian Context** . N.Y : Harper & Row , 1936.

Robinson , John A.T . **Christian Morals Today** . Philadelphia : The Westminster Press , 1964 .

هذا الكتاب

يقدم لك دراسة متعمقة من كلمة الله عن السلوك المسيحى ، وكيف تختاره . إنه يشرح لك معنى الضمير ودوره فى حياتك . كما يشرح باسهاب « الحرية المسيحية » ، ومفهومها فى تعليم العهد الجديد . ويناقش قضية « العثرة » ومشكلاتها فى المجتمع المعاصر . ثم يضع أسس الحياة المنتصرة .

انه كتاب لا يستغنى عنه دارس



١٠١٠٠٠٤٧